٢٠٣

HARLEQUIN®

روايات احلام

كذبة اسمها الحب

ليليان پيك

www.elromancia.com

مرمورية

كذبة اسمها الحب

عندما عرض ديريك وينترتون الكاتب الشهير على سالي أن تصبح خطيبته مؤقتاً بهدف إبعاد الصحافة والمعجبات، لم يكن يعلم أنه أدخل حية إلى جنته! فقد كانت هذه فرصة سالي الذهبية، كي تسرق أسراره وتبيعها للصحيفة التي تعمل فيها...

على كل حال، ما همّ سالي أن تصبح جاسوسة ما دام هذا سيوصلها إلى النجاح والشهرة.

ولكن عقبة وقفت في طريقها: قلبها... فقد أحبت ديريك واكتشفت ذلك بعد فوات الأوان... بعد أن فضح ديريك خيانتها له!...

www.elromancia.com

١ ـ حبي العزيز

استخدمت سالي بانفعال يديها الاثنتين لترجع شعرها البني الكثيف إلى الوراء وهي تجادل:

ـ لو كان لديك بعض الثقة بي لأعطيتني هذه الوظيفة... فأنا واثقة من قدرتي على تزويدك بالقصة التي تريد.

تراجع ديريك وينترتون إلى الوراء في مقعده الدوار ثم رفع رأسه الذي وخطه الشيب، وأخذ يربت على كفه بقلم.

ـ هل تعتقدين أن من واجبي قبولك بين موظفي التحرير، لمجرد توصية من خالك رئيس مجلس الإدارة، فضلاً عن زعمك امتلاك الكفاءة؟

هزت سالي رأسها إيجاباً، فتابع ديريك:

ـ حسن جداً.. أين إذن هو بيان مؤهلاتك؟ أريد شيئاً مكتوباً يدعم كلامك لتولي هذه المهمة في صحيفتي «ستار» و«جورنال».

بللت سالي شفتيها بلسانها، وتنحنحت:

ـ أنا.. بيان السيرة والمؤهلات الوحيد هو عن عملي الذي تركته كمدرّسة للغة الإنكليزية.. وليس فيه إشارة إلى أية علاقة بالصحافة.. أليس هذا هو المطلوب؟

أستند ديريك وينترتون بمرفقيه إلى طاولته.

ـ كان لك وظيفة واحدة فقط؟

ـ أجل... مدرّسة!

ـ آه.. عزيزتي! ولكن ماكسيميليان ماكنزي رجل صلب ليس من السهل اختراقه، طويل، عريض، وسيم، ويكره الصحافيين، ولو أنه كان صحافياً قبل أن يعود إلى كتابة الروايات السياسية.. ويرفض إعطاء المقابلات لأحد.. ويكاد لا يعرف أحد شيئاً عن حياته الخاصة، ما عدا أن السيدة التي كان على وشك الزواج منها، تركته. وحسب سجلاتنا كان هذا خبراً مثيراً منذ أكثر من ثلاث سنوات.

ـ وأنا كذلك صلبة العود سيد وينترتون.

ابتسم ديريك:

ـ أنت؟ كم عمرك.. خمسة وعشرون أم ستة وعشرون؟ وتقولين إنك صلبة العود بشعرك البني الكثيف، والعينين البراقتين وهذا الفم الذي لا يمكن أن يكون قد خرج منه أي كلام سوء!

ـ يمكن أن أغضب، مثلما كنت أفعل مع الأولاد، وكان يبدو أن غضبي يعيدهم إلى صوابهم، لقد تركت عملي هذا منذ أسابيع ثلاثة فقط.

ـ إذن، تريدين أن أقول إن خسارتك مهنة التعليم هي كسب لي؟

توسلت:

ـ جربني سيد وينترتون.. هذا كل ما أطلب.

ـ وإذا لم أفعل، أعتقد أن علي الرد على خالك، وأن أحاول الحفاظ على وظيفتي.

ثم نظر إليها متفحصاً وتابع يقول:

ـ هذا الرجل صعب جداً.. أقل ما يقال فيه إنه مراوغ ومشاكس، و.. وستكونين صحافية طرية العود، دون خبرة أبداً، ومزيفة.. وأنثى فوق كل هذا.

ـ أليست هذه ميزة لصالحي؟

رد على مضض:

ـ ربما.. هذه وجهة نظر.. لكن من ناحية أخرى، لا أستطيع نشر مقالات تجريبية لمعلمة مدرسة في صحيفتي.. وحسب حديثك، قد تكون

التجربة الوحيدة.

حاولت الاحتجاج، لكنه رفع يده:

ـ هذا غير ممكن سالي.. سواء كان خالك رئيس مجلس الإدارة أو لم يكن.. آسف.

رفع سماعة الهاتف وهو يردد: «آسف سالي».

وتكلم عبر الهاتف.

قال جيرالد، وهو يتمدد بجسمه الطويل النحيل على المقعد المحاذي للموقد في منزل سالي:

ـ ما لا أفهمه.. لماذا أنت مصرة على متابعة هذه الرحلة الطائشة؟ كان يمكن أن تكون معقولة لو أن رئيس تحرير «الستار» و«الجورنال» أعطاك الوظيفة.. لكن الانطلاق إلى المجهول مجرد فكرة طائشة.

ـ بل لمجرد التسلية.

وبتصميم وضعت قميصين آخرين في حقيبة الظهر المحشوة:

ـ ألا تفهم؟ أنا في الخامسة والعشرين وعلى مشارف الستة والعشرين.. وهناك أوقات في حياة كل إنسان...

ونظرت إلى رفيقها الذي كان يحاول فهم موقفها، وأضافت متنهدة: «لا.. أنت لا تفهم.. أليس كذلك؟».

خلال السنتين اللتين عرفت فيهما جيرالد فارنيلي، أولاً في الكلية، ثم كصديق، لم يكن يفهم.. ركعت على الأرض، تتنفس بصعوبة بعد عملها في الحقيبة. وتابع جيرالد سؤاله بإصرار:

ـ لماذا يجب أن تختفي في الجزء الآخر من الأرض لفترة لا يعلمها سوى الله؟ لماذا لم توافقي على الزواج مني بدلاً من هذا.

وضعت يدها على ركبته فغطاها بيده فوراً:

ـ أنا متعلقة بك، جيرالد.. لكن.. أتمنى لو تفهم...

لكنه لم يفهم.. ولم تستطع، بالرغم من حبه لها ومن طبيعته الطيبة، أن تصارحه بأنه ببساطة لا يلامسها عاطفياً.

قال: «تحتاجين إلى المزيد من الوقت.. أليس كذلك؟».

حاولت أن تشرح: «العالم، وخاصة المقلب الآخر منه، يناديني.. لذا سأستخدم مدخراتي..».

ـ لكنك قلت لي إنك بسبب ارتفاع إيجار منزلك، لم تتمكني من توفير ما يكفي لشراء تذكرة السفر، وما تبقى لإقامتك للأيام الأولى فقط.. هذا دون ذكر...

ابتسمت سالي بثقة أكبر مما تشعر به:

ـ سأتدبر أمري.. لا تقلق.

أخذ جيرالد يدها الممدودة مودعاً.

حين خرج، تاركاً إحساساً دافئاً بالحرية يجتاحها، تمطّت بتكاسل. بالرغم من عدم قدرتها على تأمين عمل في الستار وجورنال.. لم تكن ترى أية غمامة في مستقبلها الخاص.

ومع أن عقلها حاول أن يقول لها أن القيام برحلة بعيدة وطويلة كالتي تنتظرها، دون مال يكفيها، ما هي إلا حماقة متطرفة.. فإنها للمرة الأولى رفضت أن تصغي.

رجعت بأفكارها قليلاً إلى الماضي.. أخذت تفكر بمرض أبيها الطويل، وإخلاص أمها له، ومساهمتها في الحفاظ على صحته، وبذل كل ما لديها.. لكنها لم تندم على شيء.. وبعد سنوات من الشقاء نجحت في تجاوز محنتها لخسارة زوجها الحبيب، وها هي قد تزوجت ثانية زواجاً سعيداً.

وفكرت سالي: الآن جاء دوري.. والعالم موجود هناك.. وها أنا قادمة!

كانت كافتيريا المطار مزدحمة بأشخاص كلهم شوق مثلها، للإقلاع في اتجاهات مختلفة. وإذ وجدت أن حمل صينية الشاي مع حقيبة السفر الكبيرة أمرٌ متعذر، فقد أنزلت الحقيبة ودفعتها جانباً.. وقررت أنها ستكون هنا آمنة، إلى أن تجد مقعداً وتعود لتأخذها.. وحملت حقيبة الكتف الصغيرة.. ونظرت حولها في الكافيتيريا.

كل طاولة قريبة كانت مشغولة.. هكذا شقت طريقها ببطء، فوق سيقان ممددة، وتجاوزت عربات شركات الطيران، بين أولاد مهناجين متسابقين. على طاولة في الزاوية وعلى بعد عشرة خطوات منها، كان يجلس رجل لوحده، وكرسي آخر مدفوع إلى تحت الطاولة قبالته.

حمداً للسماء.. وشقت سالي طريقها إليها، راجية ألا يسبقها أحد إليها.. كانت على بعد خطوة من الطاولة حين مر ولد صغير من تحت الصينية ولكي تحمي الولد من الشاي الساخن، مالت إلى جانب واحد.. وتعثرت قدمها بقائمة الطاولة.. أحست بنفسها تقع فرفعت الصينية عالياً لحماية الولد.

طار السندويش، بينما الإبريق الممتلىء بالشاي الساخن أخطأ بنطلون الرجل الأنيق ببضعة أصابع. وهبطت ركبتا سالي بقوة على الأرض، فصاحت متألمة لكن كوب عصير البرتقال، اندلق من الصينية فوق قميص الرجل، وعلى سترته. وحدها الصينية بقيت ثابتة في يد سالي المتصلبة واختفى الولد دون أثر. صاحت سالي:

ـ أوه.. لا..!

وارتجفت شفتاها، ثم وقفت بارتباك، تنفض ركبتها وتخلصت من الصينية.. ثم رأت الضرر الذي سببه الحادث على الشخص الجالس إلى الطاولة، فتأوهت:

ـ أوه.. يا للسماء.. لا!

كانت البقع على ملابس الرجل تتسع.. كان القماش الثمين يمتص بعطش السائل الملون.

سأل الرجل بعد أن تأمل مقطباً ما أصابه:

ـ هل آذيت نفسك؟

ـ أجل.. لا.. أعني..

وأخذت تفتش في جيوب سترتها لتخرج حفنة من محارم ورقية.. وركعت مجدداً، وبخبرة سنوات من تنظيف الأولاد في الصف، أبعدت يده

بعيداً. الأفضل امتصاص السائل قبل أن يستقر عميقاً في القماش الرمادي. وقبل أن يستطيع الاحتجاج، مررت المحارم الورقية على قماش قميصه الرقيق.. تتحسس تحت ضغط أصابعها جسمه النحيل القوي.

ظنت أنها سمعته يتمتم «يا إلهي.. ليس مرة أخرى!».

تراجع بحدة فرفعت نظرها إليه متسائلة.. كان عليها أن ترجع شعرها إلى الوراء كي تراه بشكل أفضل.. رأت عينيه تلتمعان بغضب مكتوم.. وتحركت في داخلها شرارة استجابة غريبة. لكنها لم تتوقف، وأخذت تتمتم:

ـ أنا آسفة.. آسفة جداً.

وكأن الكلمات المهدئة يمكن أن تصلح الضرر، لكن فم الرجل كان مشدوداً، وعيناه بلا تعبير، في حين أمسكت يده بمعصمها، فعلمت أنه يريد منها أن تكفّ عما تفعل. هكذا توقفت في الحال، ونهضت وقد أحمر وجهها.

إنها تراه الآن بوضوح أكثر.. أحست بصدمة محرجة. ألم ترَ هذا الوجه في مكان ما من قبل؟ هاتان العينان الباردتان الزرقاوان، تلك الجبهة العريضة المحددة بشعر أسود كثيف.. ذلك الأنف الطويل المستقيم المرتفع بشيء من التعجرف فوق فم صارم... بدا لها أنها رأته سابقاً في مكان ما.. صحيفة ما؟ مجلة؟ أجل.. هذا هو المكان الذي شاهدته فيه.. لكن في أي سياق؟ وانتبهت إلى أن موقفها الآن لا يحتمل تداعي الأفكار، فقالت تعتذر مرة أخرى:

ـ أنا حقاً آسفة.

لكنه صرف النظر عما قالت بطريقة متوترة:

ـ هذا من الأشياء التي تحدث.. وفاتورة التنظيف لن تفقرني.

ردت بتوسل:

ـ أوه.. أرجوك، أرسل الفاتورة إليّ.. ما حدث كان غلطة مني.

وصلت موظفة الكافيتريا وكأنها الجنية الطيبة، وسط النقاش، مع

خرقة التنظيف، لتقول:

ـ لا.. لم تكن غلطتك يا عزيزتي.. لقد رأيت كل شيء بعينيّ.. كان السبب ذلك الولد. فالصغار يهتاجون كثيراً في مثل هذه الأماكن ويتسابقون كأنهم الأعاصير الصغيرة، و...

وهي تتحدث، أخذت صينية سالي واستعادت إبريق الشاي من تحت الطاولة، ومسحت السائل المسكوب وكنست بقايا السندويش.. ثم أعلنت بابتسامة حزينة:

ـ هذه نهاية كل شيء.. سآتيك بصينية أخرى عزيزتي.. هل تسمحين؟

قالت سالي بسرعة:

ـ هذا لطف منك.. لكنني لا أستطيع تحمل ثمن...

قاطعتها المساعدة: «إنها على حساب المحل، عزيزتي.. اجلسي أنت هنا من فضلك».

وأشارت إلى الكرسي قبالة الرجل: «ولن أتأخر ثانيتين».

استدارت سالي بامتنان لرفيقها، الذي كان مشغولاً بتجفيف صحيفته التي أصبحت برتقالية.. وبدأت تقول:

ـ أنا حقاً..

لكنه قاطعها:

ـ حسن جداً.. لقد انتهى المزاح.. ويبدو أن أسلوبك هذا كان ناجحاً، مع أنه جديد عليّ.

وأخذ يكتب على ورقة:

ـ هذا هو عنوان المرأة التي تدير نادي المعجبات بي. وستعطيك النسخة الموقعة التي تسعين إليها، أو الصورة، أو أي شيء آخر تريدينه..

لكن عبوسها المحتار أوقفه.

ـ نادي المعجبات؟ أي ناد هذا؟ هل تسمح أن تقول لي عمّ تتكلم؟ لقد تعثرت لأنني كنت أحاول تجنب ذلك الولد..

شهقت سالي، ورفعت يدها إلى فمها:

www.elromancia.com

- أوه.. يا للسماء! حقيبتي؟ لقد تركتها في مكان ما هناك..

جأر الرجل:

- بحق الله.. أين تركتها؟

وقفت متصلبة، تشير بيدها.

- إلى جانب منصة البيع.. لم أستطع حملها مع الصبية.. لذا..

وقف الرجل، يقول متجهماً:

- ابقي حيث أنت.

وشق طريقه عبر الكافيتيريا.

وفيما هي تتابعه متلهفة.. قربت منها الحقيبة الصغيرة التي تحتفظ فيها بأوراقها الشخصية.. إنها واثقة من أنها وضعت فيها جواز سفرها وبطاقة الطائرة. لكن قبل أن تتمكن من تفحص الحقيبة جيداً عاد الرجل يخطو من فوق السيقان الممدودة والحقائب والأولاد كما فعلت، وكان خالي اليدين. سألها:

- أية منصة بيع؟ هل الرئيسية أم الأصغر المخصصة للشراب فقط؟

بدأت خيبتها تتزايد، وقالت:

- الرئيسية.. هل فتشت هناك؟

- فتشت المكانين.. ولا أثر لحقيبة.. هل أنت واثقة..؟

- واثقة.

وعضت شفتها تحاول كبت الذعر المتصاعد.. لا يمكن أن يحدث لها هذا.. لا يمكن!

وصلت موظفة الكافيتيريا.

- هاك عزيزتي!

ومررت لها كوب عصير برتقال مع سندويش.

- وهاك أيضاً فنجان شاي لذيذ.. مع تحياتي.

- هذا لطف كبير منك..

- ماذا كنت تقولين عزيزتي عن حقيبة تركتها؟

وشرحت لها سالي.

- لا تقلقي عزيزتي.. أتوقع أن يكون جهاز الأمن هو الذي أخذها.. لا بد أن أحداً أبلغ عن رؤية حقيبة مشبوهة، وأخذت للحفظ.. كل ما عليك هو أن تذهبي إليهم وتستردينها.. لكن كلي أولاً، عزيزتي.. قبل أن ينسكب هذا مرة أخرى.

ابتسمت سالي مذعنة، شاكرة، وفعلت ما قيل لها.

قال الرجل بامتعاض وهو يقلب الصحيفة لقراءة ما لم يتلوث منها:

- سأذهب معك.. بعد أن تنهي تناول.. وجبتك.

أدركت أنها كانت جائعة أكثر مما تصورت. ومن فمها الممتلىء بالطعام أخرجت عبارة شكر، وقالت أن لا لزوم لمرافقتها.. لكنه رفض أن يصغي إليها وتابع قراءته.

قالت بتردد، متأسفة لإزعاج الرجل الذي أفسدت له ثيابه.. ومسرورة لمساعدته إياها.

- أنا.. أنهيت الطعام.. لكن، كما قلت، لا داعي لأن تزعج نفسك.

رد بتصلب وهو يطوي الصحيفة:

- ما من إزعاج.. لكن سوف تخبرين نادي المعجبين بمساعدتي إحدى المعجبات المخلصات. أليس كذلك؟

وقفت سالي بطولها الكامل.. طول يكفي لإرهاب المراهقين ممن يسيئون السلوك.. لكنها هذه المرة فشلت على ما يبدو في التأثير ولو قليلاً، على هذا الرجل الذي يزيد على ستة أقدام، والمتأكد من أنها تنتمي إلى ناديه.

- أرجوك أن تصدقني حين أقول إنني لم أسمع بك من قبل، كائناً من تكون.. وهذا يعني أنني لست إحدى المعجبات، أليست كذلك؟

علت وجهه ابتسامة خفيفة لردها الحار.. التقطت سالي حقيبتها الصغيرة ولحقت بخطوات الرجل الثابتة عبر الزحام.

سأل الرجل الواقف وراء مكتب الأشياء الضائعة:

www.elromancia.com

ـ الاسم سيدي؟

أشار رفيق سالي إليها برأسه.. فأجابت:

ـ سارا ديرلوف.. أجل قلت ديرلوف، وتكتب كما تلفظ.

ـ حقيبة سفر؟ دعوني أرى.

غاب الرجل قليلاً ثم عاد، فأخذ قلب سالي يخفق بشدة:

ـ لا يوجد شيء سيدي.. سيدتي.

تأوهت سالي:

ـ أوه.. يا للسماء. ماذا سأفعل إذا لم تظهر قبل المغادرة؟ فيها الكثير مما سأحتاج إليه.

حاول المسؤول أن يساعدها:

ـ سآخذ اسمك وعنوانك آنسة.. وسأتصل بك إذا..

قالت سالي تشرح له، محاولة تمالك نفسها:

ـ لا فائدة من هذا، سأكون متجولة لبضعة أسابيع.

نظر رفيقها إليها من فوق كتفه.

ـ بإمكانك إعطاء عنوان منزلك.

رددت بضعف:

ـ عنوان منزلي؟ ليس.. لدي عنوان في الوقت الحاضر. كنت أستأجر مكاناً.. لكنني تركته حين قررت السفر.

عبس الرجل، وكأنه يدير شيئاً في رأسه، ثم قال للمسؤول:

ـ سأعطيك عنواني.

وهي تصغي من فوق الأصوات العامة المرتفعة وإعلانات المذياع سمعت سالي الرجل يقول:

ـ اسمي ماكسيميليان ماكنزي...

وتابع يعطي عنوانا في «سوراي» لم تستطع سالي سماع تفاصيله:

ـ يمكنني أن أراسل الآنسة ديرلوف على مكتب بريد نتّفق عليه.. موافقة آنسة ديرلوف؟.

ولم تستطع الآنسة ديرلوف سوى أن توافق، وأحست كذلك بالبرودة تجتاحها، ثم بحرارة تلاحق البرد وتطرده.. هذا هو ماكسيميليان ماكنزي، الرجل الذي ترغب حقاً في الحصول على قصته.. كمراسلة في الستار وجورنال.. والذي رفض رئيس التحرير تكليفها بالمهمة.. وها هو ماكسيميليان ماكنزي يقع في قبضتها مثل الخوخة الناضجة!

لماذا لم تتعرف عليه من النظرة الأولى؟ إذا كان طموحها بالانضمام إلى المحررين في تلك الصحيفة سيتحقق يوماً، يجب أن تشحذ عزيمتها للإيقاع بفريستها.

هناك شيء يجب أن تفعله دون تأخير.. يجب أن تخبر رئيس التحرير في ستار وجورنال بحظها الجيد.. ويجب ساعتها أن يعطيها تلك الفرصة.. لو تستطيع فقط أن تتحرر لبضع دقائق.. هذا كل ما تحتاجه.. لتتصل برئيس التحرير.

قال صوت أنثوي شاب:

ـ سيد ماكنزي؟ أوه.. أشكر الله سيد ماكنزي أنني لحقت بك!

امرأة بنية الشعر، شابة، كانت تدفع بمرفقيها الجمع المتلهف لاسترداد ما أضاعه.

ـ سيد ماكنزي، هل أنت مسافر؟ قل لي إلى أين سيد ماكنزي.. لا أستطيع تحمل التفكير بأنك تتنفس هواء غير الذي أتنفسه. سيد ماكنزي.. لدي أحد كتبك.. وسأكون ممتنة حقاً لو أنك وقعته لي...

ذهلت سالي لسماعه يتمتم من بين أنفاسه:

ـ أوه.. يا للسماء.. لا!

ألم يقل شيئاً كهذا هناك حين انسكب كوب البرتقال عليه؟ وذهلت أكثر حين أمسك بكتفي سالي وشدها إليه يعانقها بدفء.

ثم رفع رأسه ينظر إلى عيني سالي، وبدا أن التعبير فيهما كان يعكس دهشتها.

ـ آنسة ديرلوف.. أنا..

www.romancia.com

صاحت المرأة الشابة وكأنها تكاد تنفجر بالدموع:

ـ ديرلوف؟ دعوتها بحبك العزيز؟ هل يعني هذا أنها.. الزو.. الزوجة التي أنكرت دائماً وجودها؟ سوف.. سوف أقيم الدعوى على جاني سميت التي تدير لك مكتب المعجبين لإخفائها الحقيقة عنا!.. أم أنها خطيبتك؟ وهذا يعني أنك قانونياً لا زلت حراً؟

انخفضت نظرة ماكسيميليان ماكنزي إلى سالي مرة أخرى، تسألها: هل أنت على استعداد للعب الدور؟

أشارت رموش سالي الطويلة بنعم.. سألعب دور جولييت أمام روميو.. إنها على الأقل مدينة له بتنظيف بذلته وغسل القميص.

تمتمت للمرأة الشابة:

ـ إنه.. حبي العزيز كذلك. «ديرلوف» ألس كذلك ماكسيميليان؟

همس بطريقة لا تسمعها سوى أذني سالي:

ـ أنا ماكس فقط بالنسبة لك.

رفعت نظرها إليه بمحبة، ودست ذراعها تحت ذراعه.. الابتسامة التي رماها بها كانت تذيب العظام ولو أن عقلها كان يقول لها بصرامة، إنه يمثل.

دفعت المرأة الشابة الكتاب إليه وأعطته قلماً.. وقالت متوسلة:

ـ أرجوك سيد ماكنزي.. لقد جئت كل هذه المسافة محاولة اللحاق بك. سكرتيرة نادي المعجبين بك قالت لي إنك هنا.. هكذا..

أخذ الكتاب والقلم منها. لكن سالي كانت متأكدة أنها سمعته يتمتم «اللعنة على نادي المعجبين!». ورفع حاجباً بارداً، إذا لم يكن عدوانياً بالكامل للمرأة الشابة:

ـ ما اسمك؟

ـ هنرينا كورزون.. هيني بالاختصار.

قالت سالي تعرض يديها كدعامة للكتاب وهو يوقعه:

ـ هل تسمح؟

ـ شكراً آنسة.. أوه دير ـ لوف.

وتعمد الفصل بين الكلمتين اللتين تعنيان: حبي العزيز.

قالت هيني كورزون مقطبة تتفحص ثياب سالي العتيقة، ثم تراقب ماكس يوقع اسمه:

ـ غريب اختيارك، أعني كزوجة.. إنها..

أكملت سالي بابتسامة شيطانية.

ـ عادية؟

ثم نظرت بعنين لامعتين إلى الرجل الذي بجانبها، زامّةً شفتيها بطريقة مغوية.. مبتهجة باللعبة التي تلعبها.

تقبلت الفتاة الكتاب قائلة:

ـ هذا صحيح.. كنت أظنك سيد ماكنزي تميل إلى صنف العارضات.. تعرف كيف.. نحيلة ومغرية ومليئة.

ابتسمت ثم تنهدت:

ـ مع ذلك، فهذا يعطينا.. نحن الفتيات العاديات بعض الأمل كما أعتقد.. أليس كذلك.

قالت سالي بمكر:

ـ أوه.. يمكن أن أكون مغرية ومليئة و «أعرف كيف..»، أليس كذلك سيد.. آه.. ماكس؟

رد بوضع ذراعه حول خصرها وشدها إليه.

قالت هيني:

ـ شكراً على أي حال.. سأحتفظ بهذا كالكنز.

وضمّت الكتاب إليها.

ـ حتى ولو كان لديك الآن خطيبة.

ولمعت عيناها مجدداً:

ـ على أي حال أنت لم تتزوج بعد.. أليس كذلك؟

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ الصائد . . في المصيدة!

اختفت هيني عن الأنظار قبل أن يحرر ماكس ماكنزي سالي من قبضته . . وقالت لنفسها: هذه هي النهاية، إنها نهاية أقصر تعارف مثير اختبرته في حياتها . قالت:

ـ شكراً سيد ماكنزي .

وحملت حقيبتها الصغيرة على كتفها، ونظرت حولها دون هدف، ولو بشيء من الشوق عليها ترى حقيبتها الأخرى الضائعة . أشار برأسه .

ـ تعالي نعود إلى طاولتنا . . إنها لا تزال فارغة بأعجوبة .

نظرت إلى ساعتها:

ـ لكن، يجب علي حقاً أن . . .

تريد أن تجد هاتفاً . . وسعت عيناها إلى أقرب لوحة متلفزة تعرض معلومات عن الإقلاع . وفهم ماكس ماكنزي نظرتها فعلق متشدقاً:

ـ إنهم يذيعون التفاصيل في المذياع آنسة ديرلوف . هل أنت واثقة أنك ستكونين بأمان وحدك في مطار من هذا الحجم؟ من أي كوكب قفزت إلى هنا وبلغت سن . . منتصف العشرينات، صحيح؟

هزت رأسها موافقة . . فأكمل:

ـ دون أن يكون لك خبرة في السفر جواً؟

ابتسمت سالي وقالت:

ـ مخطىء . . لقد سافرت جواً إلى هولندا مرة . . مع والدي .

وأغمضت عينيها . . كم كانوا ثلاثتهم سعداء في تلك الأيام، قبل مرض والدها .

ـ كي نتفرج على زهور «التوليب» في أوج ازدهارها . أذكر ألوانها المذهلة، وجمال كل شيء .

تابع كلامه بابتسامة:

ـ كنت طفلة! لقد تغير الطيران منذ ذلك الوقت .

قادها ليعودا إلى طاولتهما، وهو يكمل: «ولكن، ما الذي يدفع طائراً مثلك إلى ترك عشه والطيران إلى المجهول؟» .

ردت بصراحة وهي تجلس مترددة:

ـ العشّ هو الذي تركني سيد ماكنزي .

بدا أن لهجتها فاجأته . . وكلماتها أثارت فضوله . أخذ يكتشف أنها، بالرغم من دهشتها بما حولها، ناضجة إلى حد كبير .

أخذت تفتش خلسة في اللوحات . . تبحث عن كلمة «هاتف» . . لا بد من وجود وسيلة . . ووجدتها!

ـ أرجو أن تعذرني سيد ماكنزي . .

وفهم!

ـ تفضلي . . وإذا أعلنوا عن غرض ضائع سأسمعهم .

اندست سالي في غرفة الهاتف الصغيرة، وطلبت الرقم ثم انتظرت وهي تنقر أصابعها .

ـ سيد وينترتون؟ لو قلت لك إنني في مطار «هيثرو» في طريقي إلى «نيوزيلندة» وإنني أقتفي أثر «صلب العود» «الطويل العريض، والوسيم» ولعرف من، فهل ستعطيني الوظيفة في ستار وجورنال؟

بدا أن ديريك وينترتون قد فقد أنفاسه .

ـ أخبريني المزيد .

أطاعته سالي، وأخبرته بالتفاصيل، مع إغفالها ما حدث مع هيني

كورزون، و«خطوبتها» المؤقتة.

ـ أستطيع أن أرسل لك تقارير منتظمة.. أخباراً وشائعات عن تصرفه مع النساء، وما إذا كان يحب واحدة بعينها.. رأيه عن الكتّاب.. والنقاد..

ثم أنهت بشوق:

ـ حسن جداً.. هل حصلت على الوظيفة؟

الصمت الطويل أقلقها.. أخيراً قال بلهجة من هو واسع الاطلاع:

ـ ما هي وجهة سفر الرجل؟

أحست سالي بالحرج.. واضطرت إلى الاعتراف بأن هذه نقطة خافية عليها.

ـ لست أدري.. لكن..

انفجر صوته في أذنها:

ـ كيف بحق الله إذن ستقتفين أثره إذا كان مسافراً شرقاً أو غرباً وأنت تتجهين جنوباً؟

لو قالت له إن هذه هي مغامرتها الأولى في عالم المجهول فسيكون تعليقه دون شك محطماً لجدار الصوت. سمعته يتنهد عبر الهاتف:

ـ آسف سالي.. محاولة جيدة.. أتمنّى لك حظاً أفضل في المرة القادمة.. واصنعي معي معروفاً. لا تتصلي بي.. سأتصل بك.. هل فهمت؟

وفهمت سالي جيداً، وعادت أدراجها إلى الطاولة حيث يجلس ماكس ماكنزي. وقف احتراماً لها وهو يمسك لها الكرسي.. قد يكون قاسي العود، لكنه ينال علامة جيدة في حسن السلوك.

نظر إليها متفرساً.. وسأل:

ـ هل من مشكلة؟

لقد لاحظ تغيراً فيها! ويجب أن تضلله. تمكنت أن تبتسم، وردت:

ـ متعبة قليلاً.. وقلقة..

ـ بشأن الحقيبة الضائعة؟ دعينا نفكر ماذا يجب أن نفعل.

ـ شكراً على اهتمامك.. فهذه على أي حال ليست مشكلتك.

تعالى صوت مكتب الاستعلامات «رسالة إلى الآنسة ديرلوف.. الرجاء التوجّه إلى مكتب الأشياء الضائعة...».

ـ حقيبتي..

قفزت سالي واقفة: «أوه سيد ماكنزي.. لقد وجدوها.. لا بد أنهم وجدوها!».

رافقها إلى المكتب، فاستلمت الحقيبة، ثم وقّعت ورقة... وفيما كانا يبتعدان، التقت عيناها بعيني رفيقها.

ـ يمكنني أن احتضنك... أنا آسفة. لا يمكنني هذا.

ابتسم لها: «ولم لا؟ لقد استخدمتك لمصلحتي في وقت سابق».

وفتح ذراعيه: «استخدميني الآن».

ـ أوه..!

كانت سعيدة لاستعادة حقيبتها، ولم تستطع كبت تهورها.. فرمت ذراعيها حول ضلوعه، وخفضت وجهها على صدره.. ثم ابتعدت:

ـ شكراً.. شكراً ماكس.. على كل شيء.

مازحها بانحناءة ساخرة:

ـ الشكر لك سارة.

والتمعت عيناه برسالة رجولية اختفت فوراً بأقل من جزء من الثانية.

بعد صمت مقطوع النفس، قصير، صحّحت له:

ـ سالي.

ـ حسن جداً سالي.. لنجد لنا مقعداً.

وسارت وراءه، ولو أنها لا تعرف لماذا.. والحقيبة المرتجعة في قبضة صارمة.. ودهشت سالي لأفكارها.. لماذا تريد إرضاء هذا الرجل.. فما أن يذاع عن رحلتيهما لن تراه مرة أخرى؟

قال بلهجة متشككة:

ـ إذن كانت مصادفة أوصلتك للوقوع أمامي؟ ولست عضواً في ذلك

النادي للمعجبات؟

ـ أؤكد لك أن لا.. رأيت كرسياً فارغة واتجهت إليها.. إلى الكرسي وليس إليك.

ابتسم، لكن بقلق:

ـ شكراً لهذه الصراحة! نقطة لصالحك.. وما هي وجهة الآنسة ديرلوف؟

ـ إلى المقلب الآخر.

ارتفع حاجباه: «أوستراليا؟».

ـ نيوزيلندة كبداية.. وأنت؟

ـ نيوزيلندة.

ـ حقاً؟

رد متسلياً: «حقاً».

اشتعلت عيناها.. لو كانت تعرف هذا حين اتصلت بديريك وينترتون! كان يمكن أن يعطيها الوظيفة، بدلاً من اضطرارها للتوسل.

إذن ماكس ماكنزي مسافر في طريقها.. وتراقص قلبها بجنون..

هذا الرجل، الذي جعلت منه موهبة كتابة القصص السياسية المثيرة، اسماً معروفاً في العالم، وسالي ديرلوف، المدرسة السابقة المغمورة، والصحافية التي قد تصبح من الأصناف التي يكرهها على أي حال، لماذا يجب أن يلتقيا فوق تراب تلك البلاد البعيدة؟

ـ كم قلباً محطماً تركتِ وراءك؟

نظرت إليه بسرعة، لتلتقط تعبيراً غريباً في عينيه.

ـ أعتقد أنك تعني أصدقاء؟ حسن جداً.. هناك جيرالد. لم يكن يريدني أن أسافر.

ـ ولم يأت معك؟

قطبت سالي وجهها:

ـ إنه طائر وطني ملتزم..

جلس ماكس بساقين متقاطعتين، دافعاً رأسه إلى الوراء، وكأنه ينظر إلى المارة.

ـ وهل ستزورين بعض الأقارب؟ أم أصدقاء للعائلة؟

هزت رأسها نفياً:

ـ أريد رؤية البلاد.. ولأجل هذا أنا مسافرة.

ظهر شاب أمامهما يحمل دفتر ملاحظات المراسلين الصحافيين، وقلمه جاهز:

ـ سيد ماكنزي.

ونظر إلى سالي بدهشة، مما جعلها تنظر إلى نفسها، وتتساءل ما الذي سبب دهشته. كانت واثقة من أنها سمعت ماكس يصر على أسنانه.. وبدا لها سيد التعليقات اللاذعة.

قال بسأم:

ـ وماذا لو كنت كذلك؟

ـ أنا مارت بيلنغ من «كرينكل ويكلي». وصل إلى أسماعنا، آه.. حسن جداً.. إلى سمعي.. رسالة هاتفية من نادي معجبيك..

تمتم ماكس بانزعاج ظاهر:

ـ يا الله! هؤلاء الناس يجب قص أجنحتهم!

تدخلت سالي قائلة بهدوء:

ـ لو كنت تريد إبقاء الأمر مكتوماً.. كان يجب أن تقول ذلك للمعجبة هيني كورزون.

رد عبر أسنانه المشدودة:

ـ لا تعطيني درساً.. في الدعاية وعلم التزويج، خاصة بالنسبة لنادي المعجبات أو الصحافة.

تابع مارت بيلنغ، متغاضياً عن تعليقات ماكس المتمتمة.

ـ... أنك حصلت لنفسك على.. على..

وحوّل نظره إلى سالي، وشعره اللامع يتأرجح.

ـ نعم؟ على . . ؟

وفاجأه التحدي في صوت سالي:

ـ على ماذا سيد بيلنغ؟

خرج الرد نصف مخنوق:

ـ على . . سيدة في حياتك سيدي . . خطيبة .

ونظر إلى سالي التي بدت كأنها توشك أن تقفز وتعضه:

ـ زوجة المستقبل؟ هل يمكن أن تؤكد هذا سيد ماكنزي؟

النظرة السريعة من سالي إلى رفيقها، مع ما تحمله من تساؤل وتشكيك، لم تفت عين المراسل المدربة . . وبنظرة مرتبكة نحو سالي، أكمل:

ـ أفهم من هذا . . أن خطيبتك في مكان آخر؟

طوى ماكس ذراعيه:

ـ لماذا لا تسأل الآنسة التي إلى جانبي؟

سحب مارت بيلنغ نفساً عميقاً، ملاحظاً بعينين خبيرتين البقع اللامعة في سترة سالي التي تدل على الاستخدام الدائم، وبنطلونها الجينز الذي يكاد يهترىء، وبلوزتها الباهتة جراء الغسيل المتكرر.

ـ هذه . . هذه السيدة؟

أرادت أن تقول: ما من أحد يسافر في الدرجة السياحية على متن «جامبو جيت» وهو يرتدي أفضل ملابسه . . على أي حال «الأفضل» الذي عندها مرّ عليه سنوات منذ اشترته، قبل أن يمرض والدها وقبل أن تضطر إلى استخدام معاشها الشهري الزهيد، ليس لإعالة نفسها فقط بل لإعالة أبويها كذلك.

إزاء ردة فعل المراسل غير اللبقة، بدا القلق على ماكس، ونظر حوله:

ـ بحق السماء . . هل تحاول أن تقول لي إن هناك امرأة أخرى تدّعي هذا المركز في حياتي؟

ضحكت سالي . . ثم اكتأبت . . وفكرت: ماكس ماكنزي قادر على التلاعب برجال الصحافة . . إنه شخصية مرموقة، وكاتب شهير . فلماذا لا

يساعدها للخروج من هذه الورطة؟

استدارت إليه بنظرة لائمة متوترة . . أخذ يبتسم للنار في عينيها . . لكن ابتسامته سرعان ما تلاشت . . وتساءلت في قرارة نفسها: هل لاحظ في تعابير وجهها شيئاً من إنكارها؟

هذا الرجل رائع . . ليس جميل المظهر والحضور فقط، بل هو متعاطف كذلك.

استدار المراسل نحوها.

ـ آنسة . .

ـ ديرلوف . . سالي ديرلوف.

ردة فعله كانت فورية، ومتوقعة:

ـ دير لوف؟!

ـ أجل دير لوف . .

وأخذت تتهجّى الكلمة بصبر، وبطء.

هز المراسل رأسه ينتظر المزيد . . حين لم يسمع شيئاً، قال بحثها:

ـ هل أنت خطيبة السيد ماكنزي؟

تقدير سالي الحكيم، نصحها بأن تدعي الغموض . . على أي حال، ليس من شأنها أن تدعي أمراً مزيفاً لأجل ماكسيميليان ماكنزي . . وبنظرة خجولة نحو ماكس، وضعت أصبعاً على فمها ترد:

ـ لا تعليق.

واستدارت، آملة بهذا أن تنهي المقابلة.

قال ماكس معلقاً . . وهو يضع ذراعه حول كتفي سالي:

ـ قل لقرائك . . إنني أعتبر نفسي محظوظاً بشكل لا يصدق، لأنني وجدت مثل هذه السيدة الرائعة لتشاركني حياتي.

تلك السيدة الرائعة، أدارت رأسها تبتسم له . . تتقرب منه لتلعب لعبته . . أمسك ذقنها، وتحركت يداه تحت ذراعيها وشدها إليه.

التلامس الذي بدأ خفيفاً، أخذ يزداد عمقاً بشكل ينذر بالخطر، وأتى

www.elromancia.com

معه باحمرار دافىء لخدي سالي، وصوت راعد في أذنيها لا علاقة له بأصوات الطائرات المقلعة أو الهابطة.

بطريقة ماكرة، تغير ماكس كذلك، وقست عضلات يديه وأصبح جسمه ملتصقاً بقوة بجسمها، حتى إن أطراف أصابعها بدأت ترسل ألف جهاز إنذار يرن داخل رأسها.

حين تركها، نظرت إلى عينيه.. إذا كان هذا هو تمثيل ماكس ماكنزي، فما هي حقيقته؟ ولمع نور خلفهما.. فتراجعت سالي بخفة وصاحت:

ـ ليس من حقك التطفل على خصوصيات أحد.. أكان شهيراً مثل السيد ماكنزي، أو مجهولاً بالكامل مثلي.

قال مارت بيلنغ بصوت منخفض:

ـ لن تبقى مجهولة لوقت طويل..

وبصوت مرتفع أكمل: «شكراً جزيلاً.. هذا يكمل لي الموضوع بشكل رائع».

واختفى بين الجموع. ساد صمت قصير متوتر، بينما انشغلت سالي بحقيبتها.. وأحست بثقل التوتر داخلها. لماذا صمت ماكس ماكنزي؟ لو كان يريد أن ينكر العلاقة المزعومة بينهما، فلماذا عانقها بمثل هذه الحرارة؟ كان عليه أن يستخدم كل الكلمات المناسبة أمام ذلك المراسل..

رفعت رأسها لتبدأ بالقول:

ـ أنا آسفة بشأن...

نظر إليها:

ـ لا تعتذري.

قالت تدافع عن نفسها:

ـ لقد حاولت أن أفتح لك الطريق للخروج من الادعاء.

ـ أجل.. لقد فعلت هذا.

لكن التعليق بصوت يخلو من أي تعبير، لم يقل لها شيئاً.

نظرت إلى شاشة الكومبيوتر، تبحث عن رقم رحلتها، أو أية معلومات

عنها.. ثم قالت:

ـ سأخرج من حياتك، وأتركك بسلام سيد ماكنزي. شكراً.. شكراً لكل مساعدتك لي.. أنا آسفة فعلاً لإزعاجك، ولإفسادي ملابسك.

مدت له يدها.. لكنه لم يقابلها بيده. سألها:

ـ أوليس من الأفضل أن تبحثي في حقيبتك لتتأكدي أن شيئاً لم يفقد منها؟

أدهشها منطقه البارد بعد التواصل المتفجر في عناقهما، فقالت:

ـ أوه.. أنت على حق.. وأعتقد أنني أثق بالناس آلياً.

عادت لتجلس.. وفتحت سحاب الحقيبة تفتش في محتوياتها، وتكمل:

ـ شيكاتي السياحية في حقيبتي الشخصية. لكن الأموال النقدية ليست هناك، ولا بد أنني وضعتها هنا.. هذا غريب.. لا أثر لـ...

وقطبت تحاول السيطرة على ذعرها.

عادت تفتش حقيبة الكتف.. ومع مرور الثواني، أخذت أصابعها تبتل، وأسنانها تلوك شفتها السفلى.

ـ وليست هنا كذلك، لا بد أن من وجد الحقيبة أخذها.. أوه.. لا.. إنها نكسة أخرى.

ورفعت عينيها المبللتين إليه:

ـ هذا ليس يومي.. أليس كذلك؟ وليست عطلتي كذلك.

هزت رأسها، وأصابعها تعود إلى التفتيش.

ـ ليس لديك أموال أخرى في «القجة»؟ أنت مفلسة؟

ـ بل نظيفة، مع قليل من المال في شيكات سياحية، هذا كل شيء.. هذه أنا.

وابتسمت بشجاعة.. ومسحت دمعتين ثم قطبت وجهها ساخرة من نفسها.

فتش في جيبه وأخرج منديلاً، وقدمه لها. أخذته تجفف الدموع، ثم

www.elromancia.com

أعادته إليه.

ـ شكراً لك.. هذه قصة حياتي.. وهي قصة طويلة.

ـ وهل هي طويلة إلى حد أن لا تقصيها عليّ؟

هزت رأسها، وصرت على أسنانها وهي تفكر بعواقب خسارتها. ثم سألته:

ـ هل لديك فكرة عن طريقة لاستعادة حقيبتي الأخرى من الطائرة سيد ماكنزي؟

ـ قد يكون هناك عدة طرق.. ومن الممكن أن نسأل.

لقد قال «نحن» وهذا يعني أنه لا يفكر بتركها.. وكانت الفكرة مريحة دون حدود.

وتوقفت عيناه عليها مفكراً:

ـ لكن.. قد لا يكون هذا ضرورياً.. أستطيع إعطاءك المال اللازم لإعالتك خلال عطلتك.

ـ أتعني.. أن تقرضني إياه؟

رد بسؤال:

ـ كم فقدت؟

قالت له المبلغ. وأكملت:

ـ صحيح أنه لا يكفي الوقت الذي أنوي قضاءه هناك.. لكنني كنت آمل أن أعمل بين حين وآخر.. السبب الذي دفعني إلى هذه الرحلة هو شخصي جزئياً. حين كان جدي.. جدي الراحل، في أوائل عمره، سافر إلى نيوزيلندة، بالسفينة طبعاً.. لم يكن هناك طائرات يومها. وبقي هناك خمس سنوات.. ولقد أعجبته البلاد، حتى كاد لا يعود.

وصمتت تتذكر بدفء الرجل الأشيب المرح الذي أحبته في طفولتها.

ـ إذن هذه رحلة عاطفية؟

قطبت:

ـ أعتقد أنها كذلك.

وخرجت تنهيدة حادة منها غصباً.. ثم ابتسمت بضعف:

ـ لا أستطيع أخذ المال منك، سيد ماكنزي وشكراً على عرضك.

ـ اسمعي.. أنا..

ـ لا فائدة.. لن أستطيع رد المبلغ لك.. فقد صرفت كل مدخراتي لأشتري بطاقة العودة، وهذه هي الحقيقة...

ـ أوه.. أصدقك.. ولماذا لا أصدقك؟

جاء صوت عبر المذياع العام، يحث ركاب الرحلة على أن يتقدموا إلى الباب المخصص للصعود إلى الطائرة.

قالت بذعر وهي تنظر إلى ماكس ماكنزي.

ـ حقيبتي! لا أستطيع العودة من دونها! إنها على الطائرة.. فيها كل ما أملك.. ماذا أستطيع..؟

سألها بحدة:

ـ هل لديك تذكرتك؟ حسن جداً.. أما المال فبإمكانك أن تقترضي..

أجل.. قلت ستقترضين.. مني.

التقط الحقيبة الصغيرة، وأمسك يد سالي باليد الأخرى، وهذا يعني أنه لم يعد لديها خيار سوى أن تلحق به. أعطاها حقيبة اليد وهما يمران بالأمن.. ومر هو من قناة أخرى، بينما تأخرت هي بسبب من كان أمامها.. وإلى أن مرت، كان ماكس قد ذهب.. واتجهت مع مجموعة مسافرة نحو الطائرة.

وغاص قلبها مرات لا عدد لها.. لقد ذهب. ذلك الرجل الذي كان كصخرة نجاة لها.. وأحست أنها فقدت صديقاً.

لقد وعدها بدعم مالي، لكن الناس، وحتى الأصدقاء، غالباً ما يقطعون وعوداً لا ينوون الحفاظ عليها.. لكن الأمر لم يقتصر على هذا.. إنها تفتقد للرجل نفسه، إلى ثقته بنفسه، إلى وقفته المتفاخرة، إلى جو الاعتماد عليه، إلى عينيه الثاقبتين، وإلى الطريقة التي فعل بها شيئاً معها... ذلك العناق الثاني الذي منحها إياه.. ترك آثاره عليها، وعلى مشاعرها

www.elromancia.com

الدفيئة. كان فيه قوة مغناطيسية.

أدركت أنها تفكر به بصيغة الماضي.. وجدت نفسها تصعد الطائرة لتجد لنفسها مقعداً محاذياً للممر. بعد أن وضعت حقيبة يدها بعيداً، نظرت حولها، تتساءل عن مكان ماكس.

وعزّت نفسها: على الأقل، إنه هنا على هذه الطائرة.. ولكونه رجلاً مشهوراً، فلا بد أنه وضعها في مؤخرة تفكيره.. وعلى الأرجح، لن تراه مجدداً.

ـ آنسة ديرلوف.

فتحت عينيها على الصوت الناعم الذي نادى باسمها. واتسعت عيناها لرؤية الرجل الذي تلفظ به.. وبدأ قلبها يخفق بصوت أعلى من صوت محركات الطائرة.. لا يمكن لهذا أن يكون حلماً.. فهي لم تكن نائمة.

بدأ يقول: «أنا آسف إذا كنت...».

هزت رأسها: «كنت أفكر.. هذا كل شيء».

انحنى نحوها ويده على ذراع المقعد.. والتقطت رائحته اللطيفة، ولاحظت كيف أن حاجبيه يتقوسان وهما يتباعدان، والظل الخفيف فوق شفته العليا، وعظم الخدين المرتفع، وانحدار فكه المنحني.. وأعجبها.. أجل أعجبها ما رأت كثيراً إلى درجة الألم.

نظر حوله.. من الأفضل أن لا يقرأ أفكارها! قال:

ـ أنت تجلسين في مقعد للمدخنين.. فهل تدخنين؟

ـ لا؟

ـ الرجل الجالس إلى جانبي يدخن، لكن، لسوء حظه وبالغلط، جاء مقعده في مكان لا يسمح فيه بالتدخين.. حاول تغييره ولم يستطع. وقلت له إنني سأكلمك بالنيابة عنه.. فهل لديك اعتراض أن تستبدلي مقعدك بمقعده؟

ـ سأحب كثيراً أن أساعده.. لكنني.. لا أستطيع تحمل...

ـ ليس للمال دخل.. استبدال مباشر. ستنتفعان معاً بالتغيير.

أرادت سالي أن تصرخ.. أجل.. أرجوك! أخيراً قالت مسرورة بإظهار تحفظها:

ـ لا.. لن أمانع.

فتح ماكس الخزانة فوق الرؤوس وأخرج منها حقيبة السفر.. ثم دعاها أن تلحق به.. ومع رنين الشكر والعرفان بالجميل من المسافر المدخن، استقرت سالي، براحة أكبر، وابتهاج مكتوم، قرب الرجل الذي كانت متأكدة أنها لن تراه ثانية. سألها: «هل أنت على ما يرام؟».

هزت رأسها.. فأخرج صحيفته الملطخة بعصير البرتقال، من جيب المقعد أمامه، وتابع القراءة.

أخذت تسترق النظر إلى جانب وجهه الأسر، ثم قالت بتردد:

ـ يبدو أن البقعة على قميصك قد ذهبت.. فهل تمكنت من إزالتها؟

ـ أنت سيدة دقيقة الملاحظة.. لقد اشتريت قميصاً جديداً من السوق الحرة حين ذهبت أنت إلى غرفة السيدات.. والمتسخ موجود في حقيبتي.

بدأت تقول: «أرجوك دعني أدفع ثمن القميص الجديد».

ثم قطبت بارتباك وهي تدرك أنها مفلسة.. ويا له من عرض لا طائل منه! فهم على الفور.. وقال مبتسماً:

ـ حتى ولو كان معك مال، فهل تظنين أنني سأقبل؟

شغلت نفسها بفتح حقيبتها.. وحاولت السيطرة على وثبات الإثارة التي أخذت تتنابها مع ملامسة ذراعه المرفوعة لحمل الصحيفة..

أخرجت علبة الماكياج، وفتحت الغطاء، لتضع قليلاً من البودرة على أنفها الملتمع.. ولو أنها افترضت بتواضع، أن هذا لا ينقص من جمال وجهها العام.

كانت شفتاها الممتلئتان الشهيتان لا تزالان مشدودتين معاً، مع طبقة من الرطوبة فوقهما مباشرة، تدل على تأثير ضغط اليوم وشدته على توازنها.. ما كان يزعجها أكثر من أي شيء آخر، أنها كانت لا تعرف كيف ستدفع ثمن معيشتها في الأيام المقبلة.

واكتشفت أن شعرها كان مشعثاً، ولو أنها قصته إلى مستوى الذقن لسهولة التعامل معه أثناء السفر.. فيما بعد ستمشطه، وليس الآن وماكس

ماكنزي إلى جانبها.. مستعد دون شك أن يرفع حاجباً ساخراً لمثل هذا العمل الأنثوي.

ـ هل انتهيت؟

كان ينظر إليها جانبياً، ويطوي صحيفته. وفي لهجته شيء من الدعابة.

ـ أجل.. شكراً لك.. ليس تماماً في الواقع.. لكن..

ـ تبدين رائعة. أخبريني.. ما هو عملك؟

ـ أنا.. كنت معلمة مدرسة للغة الإنكليزية، ولأعمار المراهقين.

هز رأسه، فتابعت حالمة:

ـ في يوم ما، نظرت من نافذة غرفة الصف، وفكرت أن هناك في الحياة ما هو أكثر من هذا.. هناك عالم بكامله ينتظر من يستكشفه.

ـ هكذا تركت عملك؟

ـ وأحسست بالحرية حين فعلت!

ـ وقررت اللحاق بخطوات جدك؟

هزت رأسها: «قرأت مذكراته.. التي لم تنشر أبداً.. وصفه كان رائعاً.. وقلت لنفسي، إلى هناك سأذهب. سأسافر الاثني عشر ألف ميل وأنظر إلى ما رآه جدي منذ سنوات بعيدة».

حذرها: «سيكون المكان مختلفاً الآن».

نظرت إليه بفضول:

ـ هذا ما أريد معرفته.. وما هو الذي يناديك إلى النصف الآخر من العالم؟ هل عائلتك هناك؟ هذا هو السبب الرئيسي الذي يدفع الناس إلى السفر.

ترددت أوحى إليها أنه غير مرتاح إلى هذا السؤال. قالت بسرعة:

ـ لا تقل لي شيئاً سيد ماكنزي.. هذا ليس من شأني.

مدت يدها لتأخذ المجلة الخاصة بشركة الطيران، لكن يده منعتها. وأحبت لمسته، فقد أعادت إليها الإحساس بعناقهما السابق. افتراضها أنه اعتبر سؤالها تطفلاً، كان افتراضاً خاطئاً.

ـ أجل.. لي عائلة تعيش هنا وهناك. في نورث إيلند وساوث إيلند..

لكن هذا ليس السبب الرئيسي لسفري.

أبعد الصحيفة من يده، ومدد ساقيه، وطوى ذراعيه، وأرجع رأسه إلى الوراء.. لأول مرة منذ التقت به، رأته سالي يسترخي فبدا لها أكثر ألفة من ذي قبل.

ـ أنت تعرفين الآن أنني كاتب؟ صحيح؟ ولقد شاهدت إحدى المعجبات تكاد ترمي نفسها علي.. وهذا واقع لا يمكن أن يكون فاتك.

فكرت سالي: تعجبني طريقة ابتسامته.. وأحست بسرور يفوق الوصف لأن القدر لعب لعبته في تدبير أمر مقعدها لتجد الآن نفسها إلى جانبه.

ـ هل كان الكتاب الذي وقعته لهيني كوزرن هو كتابك الأخير؟

رد برصانة:

ـ أجل... وهو أحد الأسباب لقيامي بالرحلة. أنا أجول في البلاد لترويجه، ورؤية أفراد من عائلتي في الوقت عينه.. والآن كفى حديثاً عني.. لقد وعدتك بالمساعدة المالية. سأعطيك شيكاً بالمبلغ الذي تحتاجينه..

هزت رأسها: «قلت لك سيد ماكنزي، لن أستطيع رده لك».

قال مغمض العينين مطوي الذراعين:

ـ أنت على هذه الطائرة.. تطيرين إلى الجانب الآخر من العالم.. أخبريني سالي.. لو أنني قبلت كلامك، وسحبت عرضي، فماذا ستفعلين دون مال؟ ما من أحد سيأويك أو يبيعك شيئاً من أي نوع.

ـ الرد على هذا... أنا.. ببساطة لست أدري.. أنا لا أملك بطاقة اعتماد، وأعرف أنني لن أستطيع وضع الشيك في حسابي.. وأرفض من حيث المبدأ أن يتراكم الدين علي.

هز رأسه دون أن يتحرك من مقعده.. وصمت لوقت طويل.. وبدأت معنويات سالي تهبط.

أطرقت متنهدة: «شكراً لعرضك مساعدتي.. لكنني حقاً لا أعرف طريقة، في المستقبل المنظور، أو ما وراءه، أستطيع فيها أن أرد لك مالك».

ـ يمكن أن أجعل المبلغ، كائناً ما كان، هدية.

سألت بارتياع: «أتعني.. أن تعطيني المال؟».

وهزت رأسها بعنف، فانتشر شعرها بحيث لامس وجهه.

هز ماكس رأسه وهو يزيل الخصل التي التصقت بسترته.. واتسعت ابتسامته.. لكنها لم تستطع معرفة ما إذا كان ردها صدمه أم لا. التوى فمه مرة أخرى:

ـ أتقولين لا؟

ـ قطعاً أقول لا.. لكن شكراً لك.. كثيراً.

تمتم ساخراً: «جوهرة نادرة يجب الاحتفاظ بها كنز.. امرأة ترفض المال لمجرد الإرضاء».

ساد صمت طويل آخر.. وبدأت سالي تتساءل ما إذا كان قد نام.. لذلك أجفلت حين فتح عينيه، وأدار رأسه على ظهر المقعد.

ـ سنجعله قرضاً لمدى طويل.. ودون فوائد.. ودون وقت محدد.

رددت سالي يائسة من أن يفهمها:

ـ لا فائدة سيدة ماكنزي.. قلت لك لن أستطيع..

ـ لن تدفعي لي. هناك طريقة.. أنت بحاجة إلى عمل.. وفي أسفاري سأحتاج إلى مساعدة. هناك فتاة شابة وافقت على مرافقتي وأنا في نيوزيلندة. لكنها لم تتمكن من الوفاء بوعدها.. لذا سأحتاج.. وبشكل عاجل، إلى بديل عنها.. وأنا أطلب منك آنسة ديرلوف.. أن تكوني البديل.

* * *

٣ ـ موظفة لسيدين!

استيقظت سالي على رنين جرس الهاتف من غرفة مجاورة. رحلة الطيران الطويلة، التدافع في المطار، الرحلة إلى المدينة في سيارة كبيرة كانت تنتظر ماكسيميليان ماكنزي.. قفزت جميعاً إلى تفكيرها وهي تركز على المحيط الغريب وتحاول الخلاص من نعاسها.

المرأة الداكنة البشرة، السوداء العينين، التي استقبلتهما وصافحت يد ماكس بحرارة، بدت عليها الحيرة لمعرفتها أنه ليس لوحده. قالت:

ـ أنا كيري أوكيرو.. ممثلة ناشر كتبك في أوكلاند.. ألا تذكرني؟

أكد لها أنه يذكرها فأكملت بابتسامة مشرقة: «أهلاً بعودتك سيد ماكنزي».

حولت ابتسامتها نحو سالي: «المكتب الرئيسي في لندن قال إنك ستكون لوحدك..».

ومدت يدها تصافح سالي بالحرارة عينها. قدمهما ماكس:

ـ هذه سارة ديرلوف.. ولقد وافقت على العمل كمساعدة لي، لتملأ الفراغ الذي تركته جايني بيتس.

هزت كيري رأسها، تدفع بشعرها الكثيف الشديد السواد:

ـ لقد وجدنا من تنتظر لأخذ مكانها. لكن يبدو أنك وجدت البديل بنفسك. مسرورة بمقابلتك آنسة ديرلوف.

ردت سالي: «نادني سالي، أرجوك. فأنا لا أحب الرسميات.. ولا

يناسبني اسم سارة، إذا فهمت ما أقصد».

ضحكت كيري.. وزاد ضحكها بعد أن شرحت سالي ظروف تعرفها إلى ماكس.

تقلبت سالي في الفراش.. وأحست أنها ترغب في مزيد من النوم.. لكنها قاومت رغبتها. وعادت بالذاكرة إلى اللحظة التي عرض عليها ماكس العمل كمساعدة. كان قد قال:

ـ أنا أسافر كثيراً.. وهذا يعني أنك ستتمكنين من رؤية البلاد كما خططت بالضبط.. تجوالي سيشمل اللقاء بالناس، إعطاء الأحاديث، حفلات توقيع لكتابي.. والراتب لهذه الوظيفة، سيكون كافياً لتغطية سفراتك في هذه البلاد.. وربما تدّخرين لمشاريع أخرى... هكذا، آنسة ديرلوف.. ما رأيك؟

فغرت سالي فمها، لتبدي تحفظها وشكوكها حول قدرتها على القيام بمثل هذا الدور.. لكنه تابع:

ـ أنا لا أقبل كلمة «لا».. حين تتعرفين إليَّ أكثر، ستدركين أنني أنفذ ما أريد، مهما كانت الظروف.

حين تعرفه أكثر؟ واحتجت:

ـ لكنك لم تفهم.. لقد تدربت كمعلمة مدرسة، وليس...

ـ هل بإمكانك الطباعة على الآلة الكاتبة؟ يمكنك؟ إذن ما هي المشكلة؟

ـ لقد تدربت على الحرية في التفكير.. وآمل أن أوقظ عقول الصغار ليكونوا مثلي.. ولم أتدرب على تلقي الأوامر دون سؤال، كما تفعل السكرتيرة الجيدة.

ـ أنت تختلقين الأعذار، وتضعين حواجز لا علاقة لها بالموضوع. اسمعي..

وتحرك في مقعده، مقطباً في وجهها.

ـ أنا لا أعرف ماذا سأفعل بسكرتيرة حتى لو قدمت لي نفسها وبيدها القلم والورقة، ما عدا..

حملت عيناه نظرة ماكرة ذات مغزى. وتابع:

ـ أنا لا أملي أوامر.. أنا كاتب إبداعي، ولست رجل أعمال.. وما أريده، هو مساعدة لي..

ـ أوليست هذه وظيفة من لا عمل لها؟ ألم تخترعها لتساعدني؟ أنت فعلاً تحتاج إلى..

قاطعها بصبر: «كما شرحت لك.. هناك وظيفة فعلاً، وأنا بحاجة إليك. إذن.. ما رأيك؟».

ـ أنا.. سأجرب.. لكن..

ـ من دون لكن.

امتدت يده إليها: «فلنتصافح على هذا».

وضعت سالي يدها بيده، وأحست برجفة تسري في جهازها العصبي وابتسمت عيناه لها.. وأحست كأن الطائرة انقلبت رأساً على عقب، تماماً مثلما انقلب قلبها.

لم تكن سالي قد صحت تماماً حين سمعت قرعاً مفاجئاً على الباب، فأمسكت الغطاء تلفه حولها.. ولعنت عدم إخراجها أي غرض من حقيبتها، بسبب تعبها الشديد لدى الوصول.

كان ماكس يقف في الممر، وفي يده مغلف.. نظر إليها، وابتسم قليلاً لمظهرها الغريب، ملتفة بالغطاء. ثم سأل بحاجبين مرفوعين:

ـ هل يمكن أن أدخل؟

قالت مترددة: «لست مرتدية ملابساً ملائمة لاستقبال الزوار».

لكنها فتحت الباب لتسمح له بالدخول، ثم جرت الغطاء ورائها حتى السرير، وغاصت فيه.

نظرت في خصلات شعرها غير الممشطة.

ـ العالم ليس في مكانه الصحيح.. لست معتادة على هذا الفارق الكبير في التوقيت.. هذا عدا إحساسي الداخلي.. أنا.. أنا مرتبكة.

ـ صدقيني.. سيمر كل هذا.. هل أعجبتك الغرفة؟ هل من شكوى؟

ـ نعم ولا.. بالترتيب.. أعني.. كيف لي أن أشتكي وقد تركت بلادي وفي نيتي الإقامة في بيت للشابات يناسب ميزانيتي.. مع ذلك، ها أنا ذا.. كل هذه الفخامة! وشكراً لك مرة أخرى.

رد ماكس ابتسامتها، ومد يده بالمغلف.

ـ دفعة من الراتب مقدماً.

ورفع يده: «ما من اعتراض.. كمساعدة لي، ستحتاجين إلى ثياب غير تلك التي أحضرتها معك».

أخذ يدها، ووضع المغلف في كفها: «هذا لشراء قطعتين من الثياب، وأي شيء آخر تحبينه».

ارتفعت كتفا سالي ثم هبطتا.

ـ لا بديل لدي. أنت محق بشأن ملابسي. إنها بعيدة عن أي مظهر رسمي.

رفعت نظرها إليه.. تتساءل عما إذا كان يجب أن تستمر في الكلام.. ثم قررت الاستمرار:

ـ منذ سنوات لم أعد قادرة على شراء شيء جميل لنفسي.

بدا كأنه ينتظر المزيد، لكنها لم تستطع أن تكمل. فكل شيء محبوس في داخلها وأضاعت المفتاح.. نظرت إليه مجدداً. حتى هذه اللحظة كانت جالسة إلى جانبه. سارت معه.. وها هو الآن يقف بعيداً عنها: طويل، عريض المنكبين، نحيل، وجذاب على نحو لا يصدق؛ وأدركت أنها تراه كرجل لأول مرة.

بذلته في غاية الإتقان، ربطة عنقه الحمراء البسيطة تتناغم بذوق مع قماش البذلة القاتم، وفي وجهه لمحة خفيفة من الكبرياء، وعلى فكه خطوط، شقوق عميقة تحيط به.. وثنايا محفورة بين حاجبيه وذقن بارز إلى الأمام ينبيء عن الصلابة.. فمه كان يقول للدنيا بصراحة إنه لا يحتمل النزهات من أي كان. بينما كان في عينيه الزرقاوين المتشددتين ذكاء متوقد، يشير إلى التفوق، مع لمسة حنان لا مجال لإنكارها.

مع ذلك، استطاعت أن ترى خلف ذلك الحنان المشفق والرغبة في المساعدة، قوة فولاذية، وكأنها الجدار المرتفع، يمنع كل الوافدين، ما عدا قلة محظوظة، من الدخول إلى قلبه وروحه. سألها بطريقة لا تخلو من الدعابة والتهكّم:

ـ ما رأيك أيتها المعلمة؟ هل أنا الأخير في الصف من حيث سلامة العقل والصدق؟

ضحكت سالي.. مما تسبب بتخفيف الاحتقان الذي نشأ بينهما، وخفق قلبها بتلك الخفقة الغريبة التي تشعر بها حين يكون قربها. وفهمت قصده، وأجابت:

ـ سأعطيك نتيجة الامتحان.. في نهاية الفصل.. وبإمكانك الانتقام مني بأن ترسم شخصيتي كما تراها.. ككاتب بالطبع.

ونظرت إليه نظرة مختلسة لتكمل: «فكّك شخصيتي.. كل جزء على حدة.. ثم أعد تجميعي لأتناسب مع حبكة روايتك».

تقدم خطوتين مهددتين: «تحليل شخصيتك سيدتي.. سيكون صعباً جداً.. شخصية معقدة بالنسبة لي».

ـ هل تخشى أن تنسى بعض أجزائي حين تجمعني؟

ضحك. فأكملت: «وهل يمكن أن تستوعب كل جوانب شخصيتي من التعارف القصير بيننا؟

رد بغموض: «أوه.. أجل أعرف. مع ذلك..».

وجالت عيناه في وجهها المرفوع نحوه: «لا أعرف.. هناك شيء يبقيني حائراً..».

ضاقت عيناه، وتملكها ارتجاف تحت الغطاء الملفوف حولها.. إنه لم يعرف.. لم يخمن.. لم يعرف برغبتها في أن تكون صحافية.. من ذلك الصنف الذي يكرهه! ولو اكتشف أمرها، فماذا سيقول؟ والأهم من هذا.. ماذا سيفعل؟ هل سيطردها؟

لا داعي للقلق هكذا.. أولم يصرفها رئيس التحرير بلباقة؟.. لا

تتصلي بي، سأتصل بك! نظرت إلى الشيك في يدها.. إنه مبلغ كبير!

ـ شكراً لك على هذا سيد ماكنزي.. أنا..

ـ نادني ماكس.

رفعت نظرها إليه مجدداً، مدركة أن نوعاً غريباً من الحميمية قد تسلل بينهما، وهمست، تحس بفمها يجف للنظرة الضبابية في عينيه:

ـ ماكس.. سأستخدم المال لأشتري ثياباً مناسبة لعملي كمساعدة لماكس ماكنزي الشهير، والذي كان لطيفاً جداً معي.

ـ ستعرفين فيما بعد، أنني لست لطيفاً.

ابتسمت: «ليكن ما تريد سيد ماكنزي.. أعني ماكس».

ـ هذا ما يحصل في العادة آنسة ديرلوف.. أعني سالي.

وتصلب فجأة، لينظر إلى ساعته: «العشاء بعد ساعة.. انضمي إلي في قاعة الاستقبال من فضلك؛ لنقُلْ بعد نصف ساعة».

نظرت إلى حقيبة ثيابها التي ما تزال مقفلة:

ـ أخشى أن لا أستطيع إرضاء مزاجك في الثياب.. على أي حال.. لا بد أن أخرج إلى السوق.

لوّح بيده صارفاً النظر عن قولها.

وهي تفتش عنه بنظرها مع دخولها قاعة الاستقبال، رأت سالي كيري أوكيرو أولاً. كانت تجلس على الأريكة إلى جانب ماكس، تضحك لشيء قاله. وهي تتقدم، وقف ماكس، ووقفت كيري كذلك، تشير إليها أن تأخذ مكانها. لكن سالي احتجت:

ـ لا.. أرجوك.. سوف..

قالت كيري: «أنا ذاهبة على أي حال».

والتفتت إلى ماكس: «ماكس أنا آسفة لتزامن فرصتي السنوية مع وجودك هنا. لكنني أعطيتك خط سير رحلاتك، ومع مساعدة مثل سالي، أنا واثقة أنك ستكون على ما يرام».

وهي تصافحه، قبلت كيري خده مودعة، ورد عليها بالمثل.. ثم

ابتسمت:

ـ لو لم أكن مستعجلة لكنت ودعتك على طريقة «الماوري» سكان البلاد الأصليين.. وذلك بملامسة الأنوف. لمصلحة سالي.. وداعاً.

قالت سالي بعد لحظات وهي تأخذ الشراب الذي قدمه لها ماكس:

ـ أشخاص مثل كيري يتركون إحساساً دافئاً في قلبك. أعتقد أنك التقيتها من قبل؟

ـ عدة مرات، كانت تستقبلني دائماً في المطار.

أنهى كوب العصير أمامه، ثم أعطى سالي لائحة الطعام.

ـ أنا ولدت هنا.

ـ إذن أنت نيوزيلندي؟ ما كنت لأعرف.. لكن بعد أن أخبرتني، أستطيع ملاحظة لكنتك الخفيفة.

ضحك: «يبدو أن السنوات التي أمضيتها في بريطانيا لم تلغ لكنتي؟».

ـ لحسن الحظ.. لا.

ثم أضافت باستحياء مبتسم: «إنها تعجبني».

ونظرت إلى بلوزتها البيضاء وتنورتها المطبعة بالزهور، ثم إلى من حولها:

ـ أنا مسرورة لوجود ثياب عفوية هنا.

استند ماكس إلى ذراع الصوفا.. ونظر إلى صندالها ولباسها المرتبين.

ـ هذا صحيح.. عفوية، غير رسمية، أو أي شيء آخر.. تبدين رائعة في عيني.

قالت في سرها: أراهن أن خطيبتك السابقة.. ألم يقل ديريك وبنترتون إن اسمها فرانسيس.. شيء من هذا القبيل؟ كانت ترتدي مثل عارضات الأزياء.. وأراهن كذلك أنك كنت تحب ما ترتدي.. لكنها أبقت هذا في سرها وقالت له:

ـ شكراً على إطرائك الذي يرفع من معنوياتي.

أثناء تناول العشاء قال لها: «غداً لا عمل.. لنستعيد توازننا بعد السفر».

أخرج لائحة من جيب سترته: «في اليوم التالي، هناك حفلة توقيع لكتابي.. ثم لقاء مع المعجبين. يلي ذلك لقاءان بشأن العمل. وسنغادر أوكلاند في سيارة مستأجرة، أقودها بنفسي، في نهاية الأسبوع».

وضع اللائحة في جيبه، وأكمل: «ويجب أن يكون هناك بعض الوقت للتفرج على معالم المدينة».

ضمت سالي يديها كأنها تصفق: «أجل.. أرجوك».

وتهلل وجهها.. في تلك اللحظة بالذات تولاها ارتجاف متنائب ترك عينيها دامعتين مرهقتين:

ـ ماكس.. أنا آسفة..

وقف: «هذا من إرهاق السفر بالطائرة.. سأوصلك إلى غرفتك».

أخذ منها مفتاحها، وفتح لها الباب مستخدماً كتفه القوي لمنع رفاصه الآلي من إغلاقه مجدداً.

رفعت رأسها إليه:

ـ غداً ماكس.. هل يمكن أن أجوب المدينة بحثاً عن ثوب أو اثنين؟

ـ افعلي ما شئت.. هل أنت من النوع الذي لا يحب مرافقة رجل إلى السوق؟

ابتسمت: «إذا كان ذلك الرجل يعرض خدماته كدليل، فالجواب: لا مانع.

ـ عظيم.. أنا أستيقظ باكراً، ثم أخرج في مسيرة سريعة، أكتب قليلاً، وأتناول الفطور.. وأنت؟

ـ أستيقظ مع رنين المنبه، وأقوم ببعض التمارين، أبتلع قليلاً من الطعام وأجمع مذكراتي لليوم.. ثم أذهب إلى المدرسة.. لأعلم.

ابتسم: «آه.. في هذه الظروف يجب أن تغيري برنامجك، ألا ترين ذلك؟ كان هذا في الماضي، وليس الآن. لقد غيرت نوع عملك».

ـ أنت على حق.. ربما يجب أن أعيد الترتيب.

وعدت على أصابعها: «المنبه، التمرين، الطعام.. ثم تحت الأمر والطاعة».

انخفضت رموشه قليلاً، وقد قرأ على ما يبدو الكثير في كلامها.. احمَّر وجهها للحظة، إذ لاحظت كم يستجيب للإشارات الحساسة بسرعة.. ولو غير مقصودة.

أخذت ثقل الباب عن كتفه:

ـ ليلة سعيدة ماكس.. كان يوماً طويلاً متعباً.. شكراً لكل شيء.. وآمل أن لا تندم على اختيارك لي كمساعدة.

ـ قد تصبحين أنت النادمة.. وقد أنقلب شخصاً شريراً.

ـ بالنسبة للعمل، ربما نعم، وربما لا. لكن كشخص.

هزت رأسها بقوة: «أوه.. لا!».

ـ لا تراهني على هذا.

وابتعد.

أصبح اليوم التالي حاراً متألق الشمس.. وانقضى في النبضُع.. والتفرج على معالم المدينة.

بالعودة إلى الفندق كانت سالي متعبة، لكن سعيدة، فاستأذنت ماكس، قائلة إنها تنوي تجربة ما اشترته. ثم الاستحمام قبل ارتداء ملابسها للعشاء.

لقد اشترت ثلاثة أثواب تلائم مزاجها الخاص، كما أملت أن تتناسب مع التزامات ماكس الاجتماعية. بعد ذلك ذهبا في رحلة بحرية حول ميناء «وايتيماتا»..

هي الآن تأخذ مغطساً بدل الدوش الذي ذكرته. استلقت سالي إلى الخلف مغمضة العينين، تعيش مرة أخرى لذة رحلة الميناء البحرية.

بعد القهوة على متن المركب.. وقفت قرب سياج السفينة والريح ترفع شعرها، وتملأ رئتيها، تتمتع بتحررها من حياتها القديمة.. ونجاحها في الوصول إلى الجانب الآخر من العالم.

www.elromancia.com

كان ماكس يحدق صامتاً باليخوت والمراكب المارة.. لكنه يتمتع بدفء الشمس والسماء الزرقاء كما تتمتع هي بذلك.. بين حين وآخر، كانت سالي تنظر إليه لتقول ما في فكرها، لكن صمته بدا جداراً من حوله، اختبأ خلفه، يجيل النظر بأفكاره الخاصة.. أحست أن أمراً ما يزعجه.. وتساءلت عما إذا كان يشعر بالندم لدخولها غير الملائم في حياته، بالرغم من أدبه المستمر.

جففت نفسها بعد المغطس، ومشطت شعرها البني.. ثم اختارت واحداً من الأثواب التي اشترتها.. بلوزة الثوب ملتفة على الجسم، بنصف كُمّ، بينما التنورة تنتشر بأناقة حتى ركبتيها.

وجدت من بين ما أحضرته معها قلادة ذهبية، هي آخر هدية من أبيها..

حين تطوع جيرالد لإصلاح قفلها المكسور، نتيجة الاستخدام المتكرر، قبلت سالي بسرور. بعد إصلاحها، دس فيها صورة صغيرة له.. ومنذ ذلك الوقت، لم تشأ سالي أن تنزعها كبادرة شكر لجهده. داخل القلادة، وضعت كذلك عنوان أمها، وأرقام هاتف جيرالد وديريك وينترتون.. ولو أن الأخير لن ينفعها الآن.. لقد قال: لا تتصلي بي.. وكان يعني ما يقول. على أي حال لن يستطيع ديريك الاتصال بها، لأنها لم تخبره بعنوان محدد، وهذا يعني أن العمل المرجو في ستار وجورنال، بمساعدة عمها أو من دون ذلك، أصبح حلماً مستحيلاً.

وهي تسير نحو غرفة الاستقبال في الفندق، في وقت مبكر عما اقترحه ماكس، مرت سالي بممرات طويلة، تتطلع حولها في أبواب نصف مفتوحة، وتكتشف قاعات الاجتماعات، المكاتب الصغيرة تحمل على أبوابها كلمات: «لاستخدام زبائن الفندق فقط».

أثناء مرورها بمكتب الاستقبال، استيقظت سالي من أفكارها على صوت يقول: نداء للآنسة ديرلوف. نداء للآنسة ديرلوف! وبما أنه لا وجود لغيرها بهذا الاسم فقد اتجهت إلى مكتب الاستقبال. قالت للموظفة

المبتسمة:

- أنا سالي ديرلوف.

- مخابرة هاتفية لك آنسة ديرلوف.

فكرت سالي أن المتكلم دون شك هو ماكس، ليقول لها إنه سيتأخر على العشاء.. لكن توازنها تشتت حين أكملت الفتاة:

- مخابرة خارجية آنسة ديرلوف من المملكة المتحدة.. هل تودين أخذها في تلك الغرفة الصغيرة هناك؟ سنوصلها إليك.

أول ما تبادر إلى ذهنها أن أمها مريضة، وأن زوج أمها يتصل بها... لكن كيف عرف أين يتصل بها؟ كيف يمكن لأي كان أن يعرف؟

- سالي.. بحق الله.. لقد تأخرت كثيراً.. هل تعتقدين أن ستار وجورنال تبذّران المال؟ اثنا عشر ألف ميل عبر القمر الصناعي، وقد غادرت دفء فراشي إلى المكتب البارد لأتصل بك قبل أن تنامي.. وتأخذين كل وقتك؟ على أي حال، أنت فتاة ذكية.. باندفاعك إلى قلب ماكسيميليان ماكنزي وجعله يطلب يدك.. تهنئتي لك.. متى الزفاف؟

قاطعته سالي شاهقة: «ماذا؟ عمّ تتكلم؟».

صاح ديريك وينترتون، بحيث اضطرت سالي لإبعاد السماعة عن أذنها:

- يجب أن يكون هذا صحيحاً.. إنه مذكور هنا في الصحف!

- أية صحف؟ أنا لم أتصل..

واستدركت في نفسها: أوه.. لا.. مارت بيلنغ من «الكرونيكل ويكلي» قال: لن تبقي مجهولة لوقت طويل!

- هناك صورة لك مع ماكسيميليان ضمن إطار وتقرير.. أقتطع منه ما يلي: «المؤلف الشهير، وصاحب الكتب الأكثر مبيعاً، والذي كان يوماً صحافياً، ماكسيميليان ماكنزي، ضبط هنا في مطار هيثرو قبل سفره إلى بلاده نيوزيلندة.. وقد وجد طريقة جديدة للإعلان عن آخر علاقاته الغرامية، وخطوبته «للمجهولة تماماً» كما قالت.. الآنسة سارة ديرلوف».

شهقت سالي: «لكن.. هذا ليس..».

قاطعها: «هناك المزيد.. اسمعي.. إنه يتابع.. وبأسلوب رهيب، لا يمكن أن أسمح به في صحيفتي: إنها حلوة، جميلة مثل اللاڤاندر.. لكن هل لديها شيء آخر؟ نعم، إنها مغرية، دافئة القلب.. هل فهمتم أيها القراء..؟ انظروا إلى الصورة.. وسترون أنها حارة أكثر من أن يتمكن أحد من التعامل معها! دعوني أقول لكم، باستطاعتها الدفاع عن نفسها.. لقد امتلأت أذناي من شفتيها الجميلتين.. فهل هذا هو خيار ماكسيميليان ماكنزي بعد فشل خطوبته من المتألقة الجمال فرانسيس أندرلي؟ هل يعتقد أن من الأسلم الانقلاب إلى الصنف الآخر من النساء، واختيار مجهولة في ثياب جينز وبوجه دون تبرج.. هل هذا أسلم لسمعته وصورته؟ هذا عدا عن ذكر.. قلبه؟».

ابتلعت سالي ريقها.. وتمكنت أن تقول:

ـ حسن جداً.. لماذا تتصل؟ وكيف عرفت أين أقيم؟

ـ أمر بسيط.. استخدمت معارفي. لدي زميل سابق انتقل إلى صحيفة نيوزيلندية منذ سنوات.. وعرفت من خلاله رقم هاتف دار النشر واتصلت بهم.. وقلت إنني أريد نشر مقال عنه حول آخر كتاب له. وأين يقيم الآن؟ هكذا حصلت على ما أريد وعرفت مكانك.

سألت سالي: «وهل تقول لي لماذا.. سيد وينترتون؟».

ـ ألا يمكن أن تخمني؟ أنا أعرض عليك الوظيفة التي طالما أزعجتني لأجلها.. اعتبري نفسك منذ الآن محررة متعاقدة مع ستار وجورنال.. وكونك خطية الرجل العظيم..

ردت تقاطعه: «شكراً لك سيد وينترتون، لعرضك اللطيف. لكنني غيرت رأيي.. كمساعدة لماكس ماكنزي...».

ـ خطية.

ـ بل مساعدة، سيد وينترتون...

ـ الخبر غير صحيح إذن؟ أنت لست خطيبته؟

تنشقت سالي نفساً عميقاً، وكررت:

ـ أنا مساعدته.. وقصة كوني خطيبته أتت بالصدفة، كنتيجة مباشرة لاهتمام غير مرغوب فيه من إحدى المعجبات في المطار.

ثم تذكرت دور مارت بيلنغ.. فأكملت: «وبسبب ذلك الصحافي المزعج الذي ضايقنا».

صمت ديريك لحظات، ثم: «هذا أمر جيد، عظيم.. ويعني أنك كمساعدة له، تستطيعين إطلاق معلومات خاصة عنه».

تنهيدة أخرى أكثر حدة من سالي: «الرد سيبقى «لا» فلدي مبادىء.. ولو أن بعضاً من أفراد الصحافة ليس عنده شيء منها».

سمى لها مبلغاً: «ما رأيك بهذا كمرتب؟».

خطف المبلغ أنفاسها: «إنه.. جزرة مغرية كبيرة مسيو وينترتون.. لكن..».

ـ فكري بالأمر.. هذا كل ما أطلب.. وتعرفين رقمي.. لكن تذكري، هناك فارق كبير في التوقيت بين هذا الجزء من العالم وعالمك..

وأقفل الخط. وبقيت سالي تنظر إلى السماعة. قالت لموظفة الاستقبال بابتسامة مرتجفة: «شكراً».

وسارت ببطء نحو قاعة الاستقبال.. إذن.. هناك قصة انتشرت.. واقع أنها قصة مختلقة لا يغير شيئاً.. إنها موجودة ومطبوعة.. وكل من قرأها مثل ديريك وينترتون، سيصدقها.

هل تحث ماكس على أن يصدر تكذيباً؟ لن تستطيع.. ببساطة، لن تستطيع! فلو فعلت.. ستضطر إلى أن تشرح له كيف عرفت بالخبر.. وعبر رئيس التحرير الذي توسلت إليه لتنضم إلى محرريه.

بدا لها أنها لو قبلت عرض السيد وينترتون الآن واكتشف ماكس ماكنزي خداعها له، ستجد نفسها مرمية خارج حياته قبل أن يرف جفنها.. ولن تراه مرة أخرى.

واكتشفت، لرعبها، أن هذا الأمر بدأ يهمها كثيراً.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ عالم الأضواء الساطعة

وقف ماكس وهي تدخل قاعة الاستقبال، وبدا مميزاً ووسيماً في بذلته الرسمية.. قامته العالية الرشيقة، ناهيك عن خطوط وجهه القوية، كانت تجعله متفوقاً، في نظرها، على سائر الموجودين.

وهي تنظر إليه، اختبرت سالي طفرة سعادة ممزوجة بالكبرياء، لم تعرف سببا لها. فهذ ليس من حقها لأنها ليست خطيبته فعلاً.

قالت تعظ نفسها: لا تظني أنه أعطاك ذلك المال مقدماً لأجلك فقط.. لديه صورة لنفسه في ذهنه.. صورة يجب أن يحافظ عليها. ما من أحد في مثل مركزه، سيرضى بأن تكون رفيقة عشائه كل ليلة امرأة بثياب مجعدة تكاد تهترىء كالتي دستها في حقيبتها.

هذا المساء، وبسبب كرمه، تمكنت من ارتداء ثوب لا يخذله.. في الواقع لم تشعر منذ سنوات أنها أنيقة الملبس.. حلقات ذهبية تتدلى من أذنيها، وشعرها ينتظط بنعومة، يحيط بوجهها البيضاوي وينحدر في انحناءة قوية إلى ما فوق كتفيها.

وهي تقترب، بدا وكأن اهتمامه تركز على مظهرها.. نظرته المركزة، أربكتها قليلاً، وكادت تفسد اتزانها الجديد.

كانت ردة فعله تعبيراً عن الدهشة، وليس الإعجاب.. فهذه أول مرة تظهر فيها أمامه كفتاة غير التي اعتاد عليها.

كلمات الترحيب أدهشتها وأقلقتها. وقررت في نفسها ألا تستهين أبداً

بقدرته على الملاحظة.

ـ تبدين مرتبكة قليلاً.. هل حدث شيء كدّرك؟

إذن.. لهذا السبب كان يحدق بها! هي التي أقنعت نفسها بأنها أخفت بنجاح التوتر الذي سببته مخابرة ديريك وينترتون.

ـ لا.. لا.. لم يحدث شيء. أنا بخير.. شكراً.

استدار إلى ناحيتها من الطاولة، وساعدها لتجلس. تصرفاته اللبقة كانت لا تزال تحيرها.. وتزيد من عمق الاحمرار الذي يشوب خديها، نتيجة المخابرة، ومحاولتها الادعاء أن لا شيء حصل.

جلس ماكس قبالتها، مرفقاه على الطاولة، ويداه مطبقتان.

ـ اسمعي.. إذا كنت تريدين الابتعاد عن شؤوني، أرجوك أن تقولي لي.. واعتبري ما أعطيته لك من مرتب، قرضاً على مدى طويل.. ليس هناك عقد موقع بيننا.. أنتِ حرّة كعصفور بأن تطيري دون قيود، إلى المجهول الكبير.

بدا لها أن قلبها أقلع.. لكنه عاد ليتحطم دون جناحين على الأرض.

سألت وهي تنظر إليه من فوق صفحات لائحة الطعام:

ـ هل هذه طريقة مهذبة للقول بأنك لا تريدني مساعدة لك؟ وأنني غير مناسبة؟

بدا غاضباً حقاً:

ـ أولاً ما من أحد بعقل مكتمل، يكون «مهذباً» في أمور العمل. وأحب أن أعتقد بأنني مكتمل العقل.. ثانياً، إذا لم أكن أريدك مساعدة لي، لما أعطيتك الوظيفة.. فهي وظيفة موجودة، ولا يوجد غيرك لها.. وحسبما فهمت حتى الآن من تعارفنا السطحي، أنت معلمة سابقة، وتجيدين الطباعة، فأنت مناسبة إذن بشكل مثالي.. والآن، ماذا اخترت لتأكلي؟

ردت بلهجة مكبوتة:

ـ أنا آسفة.. لم أقصد إزعاجك، المسألة.. هي فقط.. أنك تقوم بكل العطاء منذ لقائنا الأول حتى الآن.. بينما أنا..

ـ لا عليك آنسة ديرلوف.. هناك طرق كثيرة لرد العطاء... إذا كنت تفهمين ما أعني

ـ لا.. لا أفهم.. وإذا كنت..

ودفعت كرسيها إلى الوراء.

ـ ما كنت أفكر به سالي.. ليس ما افترضته بالضبط. والآن، أرجعي كرسيك، وقولي لي ماذا تريدين أن أطلب.

في نهاية الوجبة، أحست سالي أن مزاج ماكس قد صار طيباً.. ولعله من تأثير وجبة الطعام اللذيذة... على أي حال، أدركت أنها أخذت تزداد تناغماً مع مزاجه المتغير.

وأدركت كذلك أنها بدأت تعجب به.. لا.. إنه شيء أكثر عمقاً من الإعجاب، يشمل المشاعر، إضافة إلى... الواقع أنها بدأت تعشق كل لحظة تمضيها معه.. أوه، يا للسماء، كفي عن هذا! فنهايته مقررة.. أليس كذلك؟ ألم يتصرف معها منذ البداية كصديق ليس أكثر؟ وماذا لو عانقها؟ ما حدث كان جيداً، رائعاً، لكن.. انسي الأمر سالي ديرلوف.. هل تسمعين؟

ـ ماكس؟

ـ نعم؟

استدارت عيناه لتستقرا على وجهها، وتمنت لو أن المصابيح على الجدران كانت أقوى لتستطيع قراءة الكلمات غير المحكية في عينيه.. ومع انحناءة شفتيه بنصف ابتسامة، تراقص قلبها.. كان يجب أن يكون قلبها أكثر حكمة من أن يفقد توازنه بمجرد ابتسامة من هذا الرجل الحاقد على النساء، منذ غابت خطيبته السابقة.. قالت:

ـ هل تسمح أن تحدد لي واجباتي كمساعدة لك؟

تنهد بمرح نادر:

ـ يبدو أنك مصممة على دفعي للعمل.

ونظر إلى قسم الاستقبال في قاعة الطعام الكبيرة ثم وقف يدعوها

للانضمام إليه.

قادها إلى زاوية منعزلة، على مسافة من أبواب الدخول.. وانتظر إلى أن جلست على الصوفا، ثم انضم إليها.. فاتحاً ذراعيه دون اهتمام على ظهر المقعد.

ـ هذا هو روتين عملي.. هل تسمعين آنسة ديرلوف؟

اندفعت أصابعه القوية في شعرها الكثيف، لتتصل بجلدة رأسها، وتديرها نحوه.. ابتسامته التي كورت فمه القوي وزادت من عمق الشقوق حوله، حولت عظامها إلى سائل.. وفكرت: أوه.. لا.. إنني أغوص إلى أعماق خطرة! همست، وقد جف فمها:

ـ إني أستمع.

التوت شفتاه الساخرتان قليلاً:

ـ يبدو أنك تعانين من أحاسيس جديدة وخطرة. أستطيع أن أسميها «انحرافاً في التفكير».

ضحكت: «آسفة لهذا».

لو أنه يعلم أين قادها تفكيرها المنحرف هذا في تلك اللحظة! وتابعت:

ـ المسألة.. أنني.. أن جزءاً مني لا زال يراقب الأحداث بذهول، غير قادر على التصديق بأنه أصبح هنا، في الجانب الآخر من العالم.

وكادت تضيف: ومعك. اتسعت ابتسامته والتمعت عيناه، فتابعت:

ـ لا أصدق أنني قمت بهذا ماكس، بعد كل تلك السنوات من الشوق للانطلاق بحرية.

ـ وماذا منعك؟

خرجت تنهيدة حادة منها وهي تعود إلى الماضي:

ـ مرض أبي! لم تكن أمي قادرة على معالجة الأمور دون مساعدتي المالية والعملية. ثم مات أبي، وتحطمت أمي.

ـ هكذا اضطررت إلى العناية بها؟

هزت رأسها إيجاباً:

ـ لزمها سنوات لتخرج من العتمة التي وجدت نفسه فيها.. التقت شخصاً رائعاً كريماً، من عمرها، يدعى جيف ويلنغ.

ابتسمت مرة أخرى: «الآن تعيش أمي، السيدة إدي.. إديث ويلنغ. في شمال إنكلترا، وهي سعيدة».

ـ وطوال ذلك الوقت كنت مضطرة إلى..

ـ إلى محاولة حل الأمور براتبي الزهيد، كمعلمة.

ـ وأحياناً لم تكن الأمور سهلة الحل؟

ـ شيء كهذا.. وأنا لا أطلب شفقتك.

ـ وأنا لا أعرضها. لكنني بدأت أفهم الأمور على نحو أفضل.

ـ هل تعني تمثيلية «الفتاة الصغيرة الضائعة» في المطار؟

ابتسم يردد كلماتها: «شيء كهذا».

ـ سيد ماكنزي؟ أنت السيد ماكسيميليان ماكنزي.. أليس كذلك؟

أحست سالي بذراع ماكس تتصلب تحت رأسها، لكنه لم يسحبها.. وفكرت وهي تلاحظ الكاميرا المعلقة على كتف المراسل الصحفي.. أوه.. لا.. ليس مارت بيلنغ آخر، باسم مختلف!

رد ماكس رده المألوف: «وماذا لو كنت؟».

أخرج الشاب بطاقته الصحفية:

ـ أنا ستيوارت ميلدنغ. وصل إلى أسماع «الإيفننغ روكيت» أنك اتخذت لنفسك..

وتنحنح: «أعني.. خطيبة أخرى.. واسمها سارة ديرلوف؟ قد أكون أخطأت في الاسم.. فهل هذه هي السيدة؟».

ها قد عاد الأمر كما كان.. شخص آخر لا يستطيع التصديق أن ماكسيميليان ماكنزي الشهير غاص مجدداً في «برميل العسل» الأنثوي! الابتسامة الكسولة التي أدارها ماكس نحوها، قالت لها: الأمر لك.. وأزعجها أن يبدو مستمتعاً بالأمر. سألت الصحافي بحدة وكأنها تخاطب

تلميذاً مذنباً:

ـ من أخبرك بهذه القصة؟

رد المراسل مجفلاً:

ـ إنها منشورة في كل صفحات الشائعات..

تلعثم قليلاً: «أحد المعارف مرر لنا الرسالة.. وبما أنك في هذا الجزء من العالم، مكان ولادة السيد ماكنزي، سيرغب الجميع بمعرفة حقيقة الأمر».

أحد المعارف؟ لا بد أنه ديريك وينترتون! عضّت سالي على شفتها آملة أن يبقي ستيوارت ميلدنغ اسم «المتصل» سراً، وقالت:

ـ ألا تعتقد أنها قد تكون ملفقة ومشوهة؟

قال ستيوارت ميلدنغ، وقد بدا عليه الارتباك:

ـ قد لا تكون صحيحة.. ولكن ذراعه حولك تقول إنكما لبعضكما!

سأله ماكس بمرح:

ـ وهل تعتقد أننا نبدو لبعضنا؟ حسن جداً..

ونظر إلى سالي: «ربما أنت على حق.. وربما لأول مرة تصدق الشائعات. صحيح «ديرلوف»؟».

الابتسامة في عينيه أسرت مشاعرها وتفكيرها. وحين اعتدل في جلسته، وقرّب وجهه منها، عرفت أنها لن تستطيع رفض عناقه، وأن حرارة الشوق في كيانها لا تقوى عليها كل مياه المحيطات.

سمعت نفسها تهمس: «لا.. ماكس.. هذا غير صحيح.. وتعرف هذا».

وكأنها لم تتكلم.. فما كاد يعانقها حتى سلبها ليس فقط الأنفاس، بل كل احتجاج ورغبة في المقاومة.

حين أبعد رأسه، تابعت عيناه النظر إليها وكأنه يستمتع بطعم عناقهما.

أحست بحركة متوترة من كتفي ماكس وسمعته يرمي بكلمات:

www.elromancia.com

ـ اذهب من هنا . . من فضلك!

لا بد أن ستيوارت ميلدنغ قد ذهب . . وقع أقدامه المستعجلة، أخبرها بذلك . . علاقتها بديرك وينترتون لا تزال خافية . . وأطلقت تنهيدة ارتياح سرية .

لم يتوقف ماكس عن غزله . وطافت عيناه من وجهها، نزولاً على كل جسمها . والتقت عيونهما أخيراً . وهو يأسر عينيها، كانت يده تتحرك لتمسك بالقلادة الذهبية الراقدة بحنان على صدرها . . وقفزت استجابتها الأنثوية ولم تستطع منع قلبها من الارتجاف .

وبدا غير قادر على مقاومة الإغراء . ومع بقاء أصابعه حيث هي، عناقه هذه المرة، لم يسلبها أنفاسها فقط، بل جعل نبضاتها تنتفض في نغم مجنون .

حين ابتعد عنها، دفعت سالي بشعرها إلى الوراء، محاولة أن تفهم سبب ارتباك مشاعرها نحوه . . أوه . . لا يمكن أن تكون قد وقعت في حبه! لا! وأخذت تفكر في هذا الإحساس الذي ينتابها كلما اقترب منها .

أخيراً تمكنت من استعادة أنفاسها وتوازنها، وقالت :

ـ يبدو أنك نسيت عملك ككاتب . . كان ينبغي أن توجه قدراتك المبدعة باتجاه العمل .

ـ وأنت كذلك آنسة ديرلوف . . أنت لا تتصرفين بشكل سيء . . إلا إذا . . كنت تستجيبين بحماس لأي . . تحرشات . . من أي رجل!

أجفلت للإهانة الخفية، وحاولت أن تتركه . . لكن يده امتدت لتمسك معصمها وتشدها إلى الخلف .

أدار وجهها نحوه، وقال آمراً : «انظري إليّ» .

كان يتفحصها مثلما يتفحص الطبيب صورة أشعة .

ـ هل تحاولين إقناعي بتمثيلك البريء؟

أبعدت سالي ذقنها من قبضته . واتخذت وضعية صارمة هي وضعية المعلمة أمام طلابها :

ـ دعني أفهم قصدك درجة درجة سيد ماكنزي . أولاً . . أنا لا أحاول

إقناعك بشيء . ثانياً استجابتي لك، ليست تمثيلاً . . أما أخلاقي فهي منسجمة مع مبادئي ومواقفي التي بنيتها من خلال تجربتي في الحياة، وما أريده لنفسي، بغض النظر عما يفعله الآخرون . . هل تفهم؟

ـ أوه . . أفهم آنسة ديرلوف! لكن السؤال . . هل يفهم صديقك هذا؟ أم أن لديك مبادىء تختلف من وقت إلى آخر، ومن شخص إلى آخر؟ وأنا أسأل، لأنني أحاول أن أفهم سبب استجابتك كلما اقتربت منك .

ـ هذا هو السؤال . . أليس كذلك؟ كلانا كان يمثل . . وبسبب وجود المراسل هنا .

ـ وفي المرات الأخرى؟

ـ في المطار؟ . . . كان هناك المعجبة هيني كورزون التي تنتظر منك أن تقنعها . . إضافة إلى ذلك المراسل . . . من «الكرونيكل ويكلي» .

أي شيء يستطيع تفسير موقفها؟ إن قربه منها يرسل قلبها في رقصة لا سيطرة لها عليها . إنها تعرف فقط، أن النار التي يشعلها في داخلها إنما تمتد إلى قلبها، وهذا ما يجب أن تعترف به إليه وحده .

أضافت بنظرة جانبية إليه : «على أي حال . . لم يكن هناك مبرر لاستمرار مداعباتك بعد أن سمعته يبتعد» .

كانت ابتسامته غامضة : «آه . . حين تتعرفين إلى بشكل أفضل، سوف تعرفين كذلك أنني أكره العمل غير المنتهي . . » .

أضاف ساخراً وهو يقف ويشدها معه : «تعالي آنسة ديرلوف . . سأوصلك إلى غرفتك» .

في المصعد قال بلهجة الأمر الواقع، ووجدت سالي صعوبة في تقبّل كلامه :

ـ غداً على الأرجح، سأعمل طوال اليوم . . لذا ستكونين حرة لتفعلي ما تشائين . . وسأراك مجدداً وقت العشاء .

ـ وهل ستكتب؟

هز رأسه، فسألت : «سيكون لي عمل كثير؟» .

وصلا أمام غرفتها.. وكانت غرفته هي المجاورة. أخذ مفتاحها، واستخدمه، ثم رفع يدها يضع المفتاح في كفها، ويطبق أصابعها عليه.. اتصال بسيط كهذا، كما اكتشفت، أرسل نبضاتها متسارعة. علق بابتسامة أرجفت أعصابها:

ـ من يدري؟!.. ربما أنهي يومي محاطاً بصفحات من الورق مجعدة.

استيقظت سالي مجفلة لرنين هاتفها. توقعت أن ماكس يطلب خدمة، فمدت يدها بشوق، ورفعت السماعة.

ـ مكالمة مبكرة سالي.. هل نمت جيداً؟ هذا ما آمله... لأن لدي اقتراحاً جدياً.. هاي، هل أنت صاحية أيتها الكسولة؟

أوه.. لا! وتأوهت سالي.. رئيس التحرير مجدداً! صاحت ساخطة:

ـ سيد وينترتون.. أنت تضيع مالك سدى.. الجواب هو لا.. قلت لك هذا بالأمس. أرجوك إنسَ أنني أردت يوماً الانضمام إلى صحيفتك.

ـ كيف أنسى وقد بقيت حتى هذا الوقت في المكتب لأتصل بك؟ سأضاعف المقابل للقصص التي أريدها حول خطيبك..

ـ دعني أصحح لك.. إنه ليس خطيبي.. أنا مساعدته..

ـ حقاً؟ وكيف قال إنه يعتبر نفسه محظوظاً لوقوعه على مثل هذه السيدة الرائعة، لتشارك حياته؟ لقد حصلت على هذا الكلام من بيلنغ.. مارت يُخرج القصة قطعة قطعة، ويترك القارىء يتشوق للمزيد. أريد أن أهزم الكرونيكل في لعبتها الخاصة.. ولسوف أحصل على القصة من مصدرها الأصلي.. أنت.

صاحت: «لا!».

ـ حسناً.. ما رأيك أن تصبحي المحررة الأولى في ستار وجورنال؟

ـ من دون خبرة؟ أنت تمزح؟

ـ أنا لا أمزح.. تعرفين على الأقل كيف تكتبين لغة صحيحة.. وهذا ما لا يعرفه معظم المراسلين المزعومين.. أريد هذه القصص منك سالي.. وأقول لك شيئاً آخر. خالك يدعمني.. ويرسل لك تهنئته على خطبتك من

هذ الرجل العظيم.

تأوهت سالي بصوت مسموع فتابع ديريك:

ـ فكري جيداً سالي.. إذا كانت خطوبة مزيفة كما تدعين، فلن تدوم طويلاً. هل تدركين هذا؟ وستعودين إلى الوطن وأنت بحاجة إلى عمل.. أعطني ما أريد حول خطيبك المفترض، وستكون الوظيفة بانتظارك في هذه الصحيفة.. موافقة؟

أرادت أن تصرخ: لا! لكنها أغمضت عينيها تريد أن تفكر بوضوح، بتعقل ومنطق.. أنها ستحتاج حقاً إلى وظيفة بعد عودتها إلى الوطن.. سوف يصرفها ماكس من العمل كمساعدة.. وعلى أي حال، إنها تعمل هنا مكان شخص آخر. لو قبلت عرض رئيس التحرير، فستحصل على ما تشوقت إليه منذ سنوات.. بدأت تقول: «أنا..».

ـ الجواب هو نعم؟ صحيح؟ حسن جداً سيدتي. العقد في طريقه إليك.. هل لديهم جهاز فاكس في الفندق؟ لديهم؟ أليس كذلك؟ انتظري إذن وصول وثيقة صغيرة لطيفة مربوطة بشريط زهري.. معنونة إليك.

صاحت بذعر عبر اثني عشر ألف ميل: «لا..! لا عقد.. لا شيء مكتوباً!».

ساد صمت قصير: «أفهمك.. لا شيء سينكشف ويدمر حيلتنا. حسن جداً... فليكُنْ اتفاق شرف بيننا.. وستكون أول مرة أتعامل فيها باتفاق شرف».

وقطع المكالمة.

بعد انتظار عادت إلى غرفتها.. وتشوقت أن ترفع السماعة لتطلب غرفة ماكس، لكنها استدارت إلى المرآة، تمرر مشطاً في شعرها، ثم خرجت إلى شوارع المدينة.

تناولت القهوة في أحد مقاهي الرصيف، وكتبت على بعض البطاقات البريدية التي اشترتها من كشك قريب.. ثم أخرجت دفتراً وقلماً.. محاولة كتابة بعض الملاحظات عن الرجل الذي وافقت أن تكون مساعدة له.

لو قالت إنه لطيف المعشر، قوي الإرادة، وإن معجبيه المخلصين يلحقون به إلى المطار.. بالتأكيد لن يجد ماكس أي شيء ليعترض عليه.. لو اكتشف الأمر لاحقاً.

بعودتها إلى غرفتها.. أخذت تكتب بنشاط، وملأت ثلاث صفحات في وقت لا يذكر. قرأتها مجدداً، تشطب وتضيف.

بعد أن جمعت الأوراق، نزلت إلى قاعة الاستعلامات لترسل أول عروضها التحريرية عبر الفاكس.

عادت إلى غرفتها.. بدأت كتابة تقرير آخر.. ترفع فيه من قدر مخدومها إلى السماء. ومع ذلك، حين رن جرس الهاتف، قفزت بعقدة ذنب فوق السرير. قبل أن ترد على المكالمة وضعت دفتر الملاحظات في الدرج.

ـ سالي؟ أين كنت بحق السماء؟ هذه ثالث مرة..

ـ كنت أتجول في المدينة. أنت أعطيتني اليوم إجازة ماكس.

وتجدد إحساسها بالذنب مع اتجاه عينيها إلى الدرج الذي يحتوي على مذكراتها السرية.

ـ لو كان لديك عمل لي..

وسمعت صوتاً ملأ أذنيها، ونظرت إلى السماعة فبدت لها كأنها ستعضها.

ما الذي يوتر ماكس هكذا؟ بعد قليل، اكتشفت الجواب.. ولم يكن العمل هو الذي يشغله.. بل كان جريدة يحملها في يده. رمى الجريدة بقرف على السرير، وسار نحو النافذة.

ـ الإيفننغ روكيت.

وقف متصلباً مشدود الوجه ويداه مدسوستان في جيبيه.

قرأت سالي العنوان: المؤلف النيوزيلندي ماكسيمليان ماكنزي، سيتزوج فتاة بريطانية.. سالي ديرلوف، مدرسة سابقة، تنقلب إلى سكرتيرة للمؤلف.. جذابة في أواسط العشرين، ومن مظهرها محبوبة كاسمها، متشوقة لملء الفجوة التي تركتها الجميلة فرانسيس أندرلي في حياة ماكس

ماكنزي الذي أصبح الآن في الخامسة والثلاثين.

وأكمل المراسل: جانب آخر من شخصية ماكس ماكنزي يكشفه كتابه الجديد: «قبضة الليل» والذي جاء ليروج له.. بطل الرواية، رولد بيثردج، يكره بمقدار ما يحب، ويخسر.. فهل هذه هي قصة الكاتب نفسه؟ وهل لا زال يغلي غضباً لأن فرانسيس أندرلي نبذته علناً؟ انظر الصور على الصفحة الخامسة..

شهقت سالي وهي تنظر إلى صورة تظهرهما في عناق مشبوب. صاحت مذعورة:

ـ كيف يجرؤون على هذا؟

هل انجرفت إلى هذا الحد بين ذراعي ماكس ولم ترَ أنوار الكاميرا ولا سمعت تكتكتها؟

ـ يجب أن تنشر تكذيباً.. ألن تفعل ماكس؟ على الأقل للجزء الأول من المقال.

ولم يتحرك.. فكررت السؤال: «ألن تفعل؟».

بدا لها حائراً بين مشاعر متناقضة.. لا تعرف طبيعتها ومصدرها

أخيراً سأل: «كم يهمك صديقك؟».

جيرالد الطيب الصادق الذي لم تحبه أبداً وتعرف الآن أنها لن تستطيع أن تحبه!

ـ أنا.. متعلقة به... كما أعتقد. لماذا؟

ـ نحن عالقان في عمق هذه الخطوبة.. أنت وأنا.

قفز قلبها لفكرة أن تكون في «عمق» أي شيء مع هذا الرجل.

وقفت بصمت وتقدمت منه، انحناءة فكه المصمم وبروز أنفه الحاد، كل ذلك كان يعطي لجانب وجهه بعداً مخيفاً. ولا بد أنه سمع تقدمها لكنه لم يستجب. قالت بصوت رقيق:

ـ ماكس.. سأسايرك.. إذا كنت تريد ذلك.

أدار رأسه، حاجباه مقوسان وتعابير وجهه لا تنم عن شيء

فأكملت: «سأسايرك في الادعاء، أعني.. كانت غلطتي منذ البداية.. أليس كذلك؟ وهكذا بدأ هذا «الشيء» كما تسميه؟».

عادت عيناه إلى المنظر البعيد مجدداً. «لقد تعثرت ووقعت وسكبت عصير الفاكهة عليك».

وابتسمت لكنه لم يستجب.. «أو لم تكن غاضباً ماكس؟ ألا تذكر هيني كروزون، معجبتك المخلصة؟.. هي التي ربطت عاطفياً بيننا.. كان الأمر في البداية مجرد مزاح.. أليس كذلك؟».

رد متجهماً: «ولقد أصبح الآن أبعد بكثير من المزاح».

بدأ قلبها بالرحلة الهابطة التي أصبحت مألوفة لها.

ـ أو.. سوف أبعد نفسي عن حياتك.. بعد ذلك يمكنك إنكار كل ذلك الكلام السخيف. وتستطيع أن تخبر القصة كلها إذا أحببت، وعلى حسابي.. أنت ناجح ومرموق، ويجب المحافظة على سمعتك بأي ثمن. قل ما شئت عني.. فأنا سمكة صغيرة.. سأتلقى الضربة على ذقني.. وأوضب الذكرى مع أغراضي. حين أعود إلى الوطن، سوف أخرجها من نفسي وأتطلع إليها، وأكنزها و...

ولم تستطع أن تكمل دون أن تفضح ما في نفسها.

ـ وإذا اخترت الخيار الأول؟

ـ متابعة الادعاء؟ قلت لك، سألعب.. أوه ماكس.. لن تعرف أبداً كم تغيرت حياتي منذ غادرت شقتي، وأغلقت الباب على حياتي الماضية التي عرفتها..

رفع ذقنها.. ابتسامته أصبحت دافئة بحيث وصلت إلى إعماق قلبها. وارتجفت شفتاها للتعاطف الذي رأته منه.. لم يكن مجرد تعاطف زائف أمام متفرج متطفل.. بل كان تواصلاً إنسانياً في أقصى درجات العاطفة.. للحظات طويلة، بقي صامتاً، ينظر إليها، وبدا كأنه ينظر إلى داخلها. أخيراً قال:

ـ بعد كفاحك الطويل، وبعد كل ما أعطيته لوالديك، لم أعد أدري ما

إذا كنت قادراً على أن أطلب منك تمثيل هذه الخدعة.

خدعة؟ لو أنه يعلم! وهزت سالي رأسها، لكنه أكمل: «قد يعني هذا غزواً مدمراً للروح، وقد يعني مطالبتك بأشياء غير محتملة. والأكثر من هذا، سوف تعني ادعاء الإخلاص العاطفي لي.. فضلاً عن الحب الذي لا يمكن أن تشعري به، لأن لديك صديقاً تعترفين بتعلقك به.. وهذا على ما أعتقد خيانة لمشاعرك نحوه».

ـ أوه.. لكنني..

وأرادت أن تقول إنه مخطىء.. إن جيرالد لا يعني شيئاً لي. ولست مضطرة للادعاء بأنني أحبك.. لأنني أحبك فعلاً.. أحبك.. لكنها تمالكت نفسها وتابعت قائلة:

ـ أنا ممثلة جيدة.

وابتسمت، آملة أن تبهجه وأن تقنعه بأنها لا تأخذ الموقف على محمل الجد.

ـ سوف أستمتع بهذا الدور، صدقاً ماكس. أنت لا تعرف كم تشوقت في السنوات الأخيرة إلى شيء مثير.. شيء ساحر يحدث لي.

هل ابتلع قطعة الخداع الصغيرة هذه؟ ترك ذقنها ووضع يديه في جيبيه. قالت، وعينا ما تبتسمان:

ـ ماكس.. ليومين.. أنا مستعدة للعب دور خطيبتك مؤقتاً، إضافة إلى لائحة واجباتي كمساعدة، دون شيء مكتوب.. وهكذا، تستطيع طردي متى شئت. لنقل إلى أن تعود إلى الوطن، أو إلى أن تنتفي الحاجة إلى الادعاء. هل نتصافح على هذا؟

مدت يدها، فنظر إليها.. ببطء خرجت يده من جيبه وأخذت يدها في قبضة صارمة جعلتها تشهق.

قال مؤكداً: «إلى أن تنتفي الحاجة إلى الادعاء.. إذن منذ هذه اللحظة، سالي ديرلوف.. اعتبري نفسك، زوجتي المستقبلية».

***

٥ ـ عندما يغضب ماكس

كانا سيلتقيان للعشاء.. كما قال ماكس.. كان قد تركها ليحاول حلحلة بعض الأفكار المشوشة في رأسه.

أخرجت سالي من خزانة ملابسها فستاناً اشترته من بوتيك صغير في قلب أوكلاند، خطوطه بسيطة. وضعت السلسلة الذهبية حول عنقها، وثبتت القرط الذهبي في أذنيها، وهو هدية وداع من جيرالد، «ليذكّرها به».. كما قال. على الأرجح، لن يكون جيرالد سعيداً حين يعرف أنها نسيته منذ التقت بالرجل الذي تعمل له الآن.

وفكرت: إنه أمر غريب! بالرغم من زيف خطوبتها إلى ماكسيميليان ماكنزي، فقد أخذت تشعر في داخلها وكأن الخطوبة حقيقية.. وأنها فعلاً خطيبته.. وهذا عاطفياً أمر مذهل، ومحفوف بالمخاطر، ليس أقلها تورطها السري مع الصحافة..

استدارت عن المرآة، ولاحظت وجود مغلف خمنت أنه قد دفع من تحت الباب وهي تستحم. التقطت المغلف بحيرة. كان يحمل اسمها مكتوباً على الطابعة.. وتساءلت من يا ترى يعرف أين.. وهبطت روحها المعنوية من العلياء التي تسلقت إليها. ديريك وينترتون! أوه.. لا. ليس الآن.. ليس في هذه اللحظات بالذات.

الرسالة بالفاكس كانت تقول: «عمل جيد يا صديقتي.. تابعي ما

بدأت وسنجعل منك مساعدة لرئيس التحرير! عظيم حتى الآن.. لكننا نريد المزيد.. المزيد عن الرجل الشهير المخطوبة إليه حالياً.. ماذا عن مزاجه، طباعه.. أوه! نحن نسمع أن له طباعاً حادّة.. ألوان قمصانه.. كيف يغازل..؟».

شدت سالي على أسنانها، وحاولت رمي الرسالة، لكنها سيطرت على غضبها، تشعر أن عليها إكمال القراءة، حتى النهاية المريرة.. «تابعي إرسال كل ما هو جيد سالي ديرلوف.. وسنحافظ على وعدنا بأن تكوني المحررة الأولى في ستار وجورنال.. ديريك، و...».

كيف يمكن أن توافق على كتابة مثل هذه التفاصيل الحميمة عن رجل وافقت أن تكون خطيبته.. أو خطيبته الزائفة؟ هذه خيانة من النوع غير المقبول أبداً! وذكرت نفسها: مع ذلك حين ينتهي الادعاء وتعود إلى الوطن، ستحتاج إلى عمل.. ذلك العمل الذي أرادته دائماً.

دقة خفيفة ثم فتح الباب.. مع استدارة ماكس ليقفله، دفعت سالي رسالة ديريك وينترتون إلى الدرج.. شعورها بالذنب أخذ يتضاعف.. ماذا ستفعل؟

بخدين محترقين، وقفت أمام المرآة، تمرر مشطاً في شعرها.. وأخذ قلبها يخفق بشدة مع اقتراب ماكس منها. وضع يديه على كتفيها، ونظر إلى انعكاس صورة وجهها المحمر.

ـ سامحيني على الكلام المكرر، حبي العزيز، لكن هل قال لك أحدٌ كم أنت جميلة...؟

قاطعته:

ـ ماكس.. هذا كله ادعاء.. ولست مضطراً لأن تمدحني.

لمسته على بشرتها أثارتها.. وبللت شفتيها وهي تنظر إلى صورته في المرآة ثم تابعت:

ـ لكنني سألعب معك.. وأنت تبدو وسيماً كذلك.

حين تنتهي التمثيلية، ويخرج من حياتها، سيبقى، ليس وسيماً فقط بل

مهدداً لتوازنها المستقبلي.

ضحك.. ثم تركها:

ـ أعتقد أنك تقولين هذا لصديقك كلما التقيتما.

ـ أوه.. لا.. أنا.. نحن..

وسيطرت على نفسها مبتسمة: «ربما أفعل هذا».

تناولا العشاء.. واحتفلا بخطوبتهما وكأنها حقيقية.

سألت ورأسها يميل إلى جانب واحد:

ـ كيف وجدت تمثيلي ماكس؟

كان عليها أن تطرح مثل هذا السؤال لتعيد نفسها إلى الحقيقة.. ولتقول له بصمت إن وجهها المحمر، وعينيها اللامعتين هما في الواقع جزء من الدور الذي تلعبه. رد عليها بسؤال مقابل:

ـ وكيف تجدين تمثيلي؟ هل سأحصل على الدور في روايتك؟

ـ بإمكانك أن تكون البطل الأول متى شئت.

وضحكت لتعطي الانطباع بأن ما تقوله مجرد مزاح، ولو أنها في سرها كانت تعني ما تقول.

ـ تعالي معي.

كانا يقفان في البهو، وكانت سالي تتخوف اللحظة التي سيرافقها فيها إلى غرفتها، ويتمنى لها ليلة سعيدة.. لكن، على أي حال، لوحدهما، لا داعي للاستمرار في ادعاء الحب.

أخذ بيدها يقودها إلى المحلات ضمن الفندق. كانت قد نظرت إلى الواجهات هناك، لكن الأسعار المرتفعة أبعدتها عنها. أوقفها ماكس أمام محل مجوهرات.. البضاعة فيه تتوهج وتلمع تحت الأنوار المشعّة.. وسألت مقطبة:

ـ ماكس.. لماذا..؟

أخذ يدها.

ـ ما من خطيبة لماكسيميليان ماكنزي تبقى دون خاتم في الأصبع

الملائم.

سحبت يدها منه:

ـ أوه.. لكنني لست..

رد دون أن يتأثر:

ـ اعتبريه اكسسوار مسرحياً.. أو ما شئت.. لكنك ستلبسين خاتمي.

تعابير وجهه لم تكن تحتمل أي رفض أو نقاش. هكذا لم يعد لديها خيار سوى أن تلحق به.

ابتسمت البائعة لسماعها ما طلبه، وهنأتهما على خطبتهما، ثم أخرجت لوحة مخملية مليئة بالخواتم جعلت سالي تشهق. تمتمت، تأمل أن لا تسمع البائعة:

ـ لكن ماكس. هذه جيدة جداً! لا داعي حقاً..

وكأنها لم تتكلم: «جربي هذا».

التقط خاتماً من الزمرد والألماس أسر نظرها:

ـ أم تفضلين الياقوت الأحمر أو الياقوت الأزرق؟

ـ لا.. لا.. هذا جميل. لكن أرجوك ماكس..

خلعته من إصبعها ووضعته على المخمل الذي كان معروضاً عليه.

ـ إنه مكلف كثيراً.

سأل البائعة مدعياً السخط:

ـ هل قابلت يوماً فتاة مخطوبة مثل هذه؟ خطيبة تقول لخطيبها أن يعيد ماله إلى جيبه وهو على وشك أن يشتري لها خاتماً؟

ضحكت الفتاة وراء المنصة، لا شك أنها تفكر كم أن سالي محظوظة.

وضع ماكس العلبة الصغيرة في جيبه ودفع الحساب، ثم أمسك بيد سالي وغادرا المحل.

قالت: «إنه خاتم جميل.. لكن..».

ـ لو تجرأت على القول ثانية إنني لست مضطراً، سأخنقك.

ـ حسن جداً.. سأعيده إليك إذن ما أن تنتهي خطوبتنا المزعومة.

صمتت، تنتظر رده.. ثم أكملت: «وإذا تجرأت على القول «احتفظي به لقاء خدماتك..» سأخنقك».

ضحك: «لن أفكر بقول شيء كهذا.. لأنه سيهين كرامتك التي احترمتها وأعجبت بها، آنسة ديرلوف، أكثر مما أستطيع أن أعبّر».

أحست سالي بقلبها ينخلع من مكانه لمثل هذا المديح.. مرة أخرى أحست بذنب رهيب يطوف في جسمها.. كيف يمكن أن يتصرف لو علم بخدعتها الصحافية؟

لكن، وفي محاولة للدفاع عن نفسها، في تلك المقالات التي أرسلتها، لم تقل شيئاً سيئاً عنه. بل أشياء جيدة فقط. وبالتأكيد لا يمكن النظر إليها كخيانة للثقة؟

سارا بعض الوقت بصمت.. ووجدت سالي نفسها تتساءل أين هي الآن فرانسيس أندرلي.. المرأة التي أحبها على ما يبدو، وفقدها، مثل الشخصية التي ذكرها في آخر كتاب له.

كان الوقت ظلاماً مع وصولهما إلى شرفة تطل على الساحل.. أرشدها ماكس إلى مقعد.. وتحت أنوار المرفأ، أخرج الخاتم من جيبه.

ـ أعطني يدك.

ووضع الخاتم في الأصبع الثالث، ثم رفع ذقنها ليطبع قبلة على خدها. لم يكن فيها أي شغف مثل ذاك الذي أظهره في مناسبات أخرى..

شدتها ذراعه اليسرى إليه، فمال رأسها إلى كتفه، وكأنه ينتمي إليه. واستراحت يده على خصرها، وأملت أن لا يرفعها أكثر كي لا يشعر بالتدافع المجنون في قلبها.

همست: «حتى الآن، لا زلت أقرص نفسي لأتأكد أنني لا أحلم.. وأنني لست في القسم الشمالي من العالم».

كانت شفتاه دافئتان وسريعتان على جبينها:

ـ لكنك هنا.. إلى جانبي، وعلى ساحل أوكلاند.

هزت رأسها، ثم جابت عيناها السماء المليئة بالنجوم.

ـ اقسم أن القمر مقلوب رأساً على عقب.. لا أستطيع أن أرى فيه وجه «الرجل» الذي اعتدت أن أراه هناك منذ كنت صغيرة.

ـ هذا لأنك تنظرين إليه من زاوية مختلفة تماماً.

ـ هل تعرف.. يقول جدي في مذكراته إنه رأى «مذنّب هالي» من هذه البلاد.

ـ كان هذا عام ١٩١٠؟

ـ صحيح.. قال إن المذنب كان يرى في نيوزيلندة بالعين المجردة.. منظره كان عظيماً، وذنبه ممتداً في السماء.

ـ يجب أن تريني مذكراته يوماً.

هزت سالي رأسها موافقة، ثم تنهدت راضية وهي تحرك خدها على كتفه.. «في يوم ما» كم يبدو هذا رائعاً.. ويمتد إلى المستقبل.. وبدا أنه فسر حركتها بالتعب، فوقف وقدم لها يده الممدودة.

لحق بها إلى غرفتها، وأخذ يراقبها بابتسامة خفيفة وهي تنظر إلى الخاتم، ترفعه نحو النور وتبدي إعجابها. كانت تهز رأسها وهي على وشك أن تقول: ما كان يجب.. حين أسكتها بتغيير الموضوع.

ـ قال لي ناشري إن أول خطاب ترويج لكتابي حدد مساء الغد.. وأبلغت أن نادي المعجبين سيحضر بالعشرات.. وقد يعني هذا النصف.. فهل سنكونين جاهزة لحضور المناسبة؟

ابتسمت سالي لسخريته: «وكيف لا أكون؟ لا أستطيع الانتظار».

ـ ولقد ألزمت نفسي بخطبة إحدى المعجبات المخلصات!

ـ آسفة لهذا ماكس.

خلعت خاتمها ومدت يدها به: «بإمكانك فك الالتزام الآن لو شئت».

خطوة واحدة أوصلته إلى مواجهتها، وعاد الخاتم إلى أصبعها.

ـ لا تخاطري بنزع هذا..!

كررت:

ـ آسفة.. سأحتاج إليه للقاء المعجبين، أليس كذلك؟.. لن يكون الأمر سهلاً ماكس، أن أدعي أنني خطيبتك.

ـ أتريدين حقاً إلغاء الأمر؟

هزت رأسها بقوة فقال:

ـ عقدة أفكاري انحلت قليلاً اليوم.. وهذا يعني أن لك عملاً.. لا بأس في هذا؟.

ـ لا بأس أبداً.

ـ لقد رتبت الأمور مع قسم المكاتب في الفندق، اقترضنا آلة طابعة لاستخدامك الخاص. ولقد وعدوا بأن يجيئوا لك بمنضدة طباعة وكرسي خاص وأي شيء آخر قد تحتاجين إليه.

ـ هذا عظيم.

ونظرت إليه بارتياب: «لكنني يجب أن أحذرك ماكس، أنا لست سكرتيرة حقيقية.. لقد تدربت على استخدام قدراتي على النقد والحكم على عمل الناس بشكل صادق. وتعليم الأولاد أن يفعلوا مثلي».

رد بابتسامة: «هذا عظيم بالنسبة لي، طالما تنتقدين عملي بشكل بناء».

ـ أنتقد عملك؟ لن أجرؤ على هذا أبداً!

مد يده ضاحكاً، ورفع القلادة عن صدرها.. وقال:

ـ يبدو أن هذه مميزة لك.

ردت، بعد أن استعادت وعيها من الأحاسيس التي تسببها لمسته لها.

ـ هي فعلاً كذلك. كانت آخر هدية من أبي قبل أن يموت.

ثم فكرت بكل المعلومات التي تحتويها القلادة، وأحست بالتوتر حين تابعت يده الإمساك بها. من حسن حظها ترك ماكس القلادة لتعود إلى مكانها.

ـ هناك شيء أشعر أنني يجب أن أقوم به ماكس، وهو أن أتصل بأمي وأقول لها الحقيقة.

ـ طبعاً.. افعلي.

مد يديه ليوقف رأسها الذي كانت تهزه:

ـ على حسابي.. ودون جدال. صباح الغد سأجيء بالعمل. ليلة سعيدة سارة ديرلوف!

كان عناقه سريعاً لكن دافئاً، ترك بشرة سالي تقشعر.

لا بد أنه قرأ الرسالة في عينيها.. فنظر إليها بتعابير غير مقروءة في النور الخفيف.. ثم جمعها بين ذراعيه القويتين.. يشدها إليه حتى كاد يحرمها من الأنفاس، ومن كل رغبة في المقاومة، هذا إذا وجدت المقاومة. ابتعد عنها ببطء.. وهمس بصوت أجش:

ـ نامي جيداً.. حبي العزيز.

وخرج.

***

قدّرت سالي أن الوقت هو الصباح بالنسبة إلى أمها، وهي تطلب الرقم.. وهي تسمع صوت أمها عبر الاثني عشر ألف ميل، أحست بحنين حار للوطن، وغمرتها الأحاسيس.

ـ أمي.. أنا..

وعلق في حنجرتها شيء ما.

ـ أوه.. حبيبتي! أنا مسرورة جداً لاتصالك! لم أكن أعرف أين تقيمين، وأردت أن أقول لك كم أنا مبتهجة لسماع الأخبار.. اسمعي.. جيف وأنا سندفع هذه المكالمة.. اقفلي الخط ولسوف..

ـ أمي.. لا داعي لهذا.. ماكس مصر على أن يدفع.

صيحة سرور من الطرف الآخر أشعرت سالي بمدى الغبطة في نفس الأم.

ـ كم هذا رائع من خطيبك الكريم! إنك تستحقين الأفضل عزيزتي.. بسبب كل التضحيات التي قدمتها حين كان والدك العزيز حياً.. وأنا.. حسن جداً، أنا..

ـ لا تفكري في تلك الأوقات أمي.. لقد انتهت.

وتدفقت الدموع من عيني سالي لاضطرارها لقول الحقيقة لأمها.

ـ أمي.. يجب أن أقول لك شيئاً.. ليس صحيحاً أنني مخطوبة.. كل هذا غلطة.. ماكس وأنا.. نحن...

www.elromancia.com

ـ أوه سالي، حبي، توقفي عن إزعاجي بالمزاح! هناك شخص يدق الباب.. اكتبي لنا سالي. اكتبي وأخبرينا كل شيء.. وداعاً حبيبتي.. وحبي لك.

وأضافت بخجل: «ولزوجك القادم الرائع».

قالت سالي لماكس بقلق في الصباح التالي: «لم تصدقني أمي.. ولم تتركني أشرح لها».

صمت لحظات، يحرك السكر في قهوته ثم قال:

ـ هل سمعت بالتعبير القائل «التأجيل الإرادي لعدم التصديق..»؟

هزت سالي رأسها.. ووجدت أن عينيها أسيرتا عينيه.

ـ أتعني أننا ننغمس بالكامل في الأدوار التي نلعبها، ونصدق أنها حقيقية إلى أن يحين الوقت، وننهي الأمر، ويذهب كل منا في طريقه؟

ووجدت سالي أن مجرد قول هذه الكلمات، أمر مؤلم، لكنها خبأت مشاعرها في ابتسامة.

رد ماكس الابتسامة..

ـ لا بد أنك كنت معلمة جيدة آنسة ديرلوف. ولا بد أن المهنة خسرت كثيراً بتركك لها.

ضاحكة، شكرته لمديحه.

ـ كان لدي أسبابي لتركها.. طوال فترة مراهقتي، وحتى شبابي، أردت أن أكون...

وأوقفت شفتيها ولسانها بحدة. لقد كادت تعترف له بتوقها الدائم إلى أن تكون صحافية! وسأل:

ـ أن تكوني جوالة.. تسافرين في أنحاء العالم؟

بارتياح كبير هزت رأسها.. كلماته أخرجتها من ورطة. أكمل معلقاً:

ـ إذن.. اتفقنا أن نقنع الرأي العام أن خطوبتنا حقيقية..

قاطعته: «بل جمهورك أنت.. ولأجل سمعتك ككاتب...».

ـ وأن نندمج في دورينا جيداً، وكأفضل الممثلين.

همست: «موافقة».

وكانت تعي تماماً كل ما يحيط بهذا الأمر من حميميات و...

مد ماكس يده: «فلنتصافح على هذا».

ونظرت إلى وجهه، لكنه لم يقل شيئاً، كان كصفحة فارغة لم يخط عليها كلمة واحدة.

عمل طوال اليوم.. وبقيت هي في غرفتها تستخدم طابعة الفندق، وعملت مثله طوال اليوم.. تنقل كتاباته إلى جمل مطبوعة مرتبة، ووجدت أسلوباً جميلاً وشخصيات آسرة تقفز إلى الحياة من بين السطور.

كل هذه الأشياء يمكن أن تقولها عنه في صحيفة ستار وجورنال.. أليس كذلك؟ وأخرجت ورقة، وطبعت مقالتها التالية لديريك وينترتون. ثم طبعت نسخة منقحة منها، وهرعت إلى المكتب في الأسفل لترسلها عبر فاكس الفندق..

رجعت بسرعة لتخفي مقالتها، وأكملت عملها لتستغرق مرة أخرى في الكلمات التي تطبعها.

كانت الغرفة التي خصصتها إدارة الفندق لنادي معجبي ماكس ماكنزي، مكتظة بالناس. كان فيها منصة مرتفعة مع طاولة وكرسيين تشرف على بضع صفوف من المقاعد الحمراء اللون.. وبدت المقاعد قليلة جداً بالنسبة لأعضاء النادي، واضطر العديد منهم إلى الوقوف حيث استطاعوا وضع أقدامهم.

دعيت سالي للانضمام إلى ماكس وراء الطاولة.. وقامت بالدعوة جين براونغ سكرتيرة النادي التي بدت متحمسة للمناسبة. قالت السيدة براونغ:

ـ لا ينبغي أن يقال بأن المعجبات في بلاد السيد ماكنزي حاولن التفريق بينه وبين حبيبته!

مال ماكس نحو سالي، وتمتم بابتسامة شيطانية:

ـ هذا أول اختبار لك محبوبتي.

وخفق قلب سالي وهو يتابع مبتسماً:

ـ كل ما عليك فعله هو النظر إليّ وكأنك مولعة بحبي.

لكنني مولعة فعلاً بحبك.. طافت الكلمات في تفكيرها ولكنها لم تعلّق على كلامه.

تابع هامساً: «سيكونون منشغلين جداً في استخدام مخيلتهم الرومانسية حول علاقتنا المفترضة، بحيث لن يسمعوا كلمة مما سأقوله حول قصصي».

ابتسمت له باضطراب: «حتى ولو تحولت فجأة إلى كلام سخيف؟».

ضحك، وطافت موجة «آه» و«أوه» بين الحضور.. ولاحظت سالي أنهم يستطيعون أن يروا، مثلها تماماً، كم يبدو ماكس جذاباً لا يقاوم حين يضحك.

كان محقاً في تقييمه للحضور. بعضهم استخدم آلة تسجيل صغيرة ليستمع إلى حديثه ثانية في منزله.. عيون العديد منهم، وليس الرجال فقط، كانت تتجه حالمة نحو سالي، ثم تعود إلى الضيف الطويل المميز.. وكأنهم في حفل زواج.

علقت سالي وهما يشربان القهوة ذلك المساء:

ـ هل لاحظت أن الصحافة كانت حاضرة؟

ـ لاحظت هذا. تعرفين تماماً رأيي بهذا الصنف!

هزت سالي رأسها إيجاباً.. فهي تعرف رأيه جيداً!

ـ لكنك كنت واحداً منهم، أو هكذا تقول كتيبات الدعاية عنك.

هز رأسه دون أن يجيب. قالت توجه الحديث في اتجاه أكثر أماناً:

ـ شكراً ماكس لوقوفك إلى جانبي هذا المساء. لقد تركتني ألحق بك.. مثل.. مثل..

ابتسم: «كلب مخلص؟».

اندست يده حولها، وأمسكت يده الأخرى يدها. وبررت عدم ممانعتها باحتمال وجود المعجبين في الجوار.. قال:

ـ أهنئكِ على قدراتك التمثيلية..

قبل أن تحس بالحرج، كانت يده على عنقها، وانزلقت ذراعاها تحت

سترته.. ووجدت نفسها تستجيب لعناقه بلهفة، وقلبها يقفز كالكانغرو، وأنفاسها تعلق في رئتيها.. هذه المرة لم تر لمعان الكاميرا فقط، بل سمعتها.. فهل ثمة معجب متشوق لالتقاط صورة؟

أحست بعضلات كتفيه تتصلب، وصرير خفيف على أسنانه واستدار بطريقة تنذر بالشر.. كان الصحافي ستيوارت ميلدبغ يقف هناك وعلى وجهه ضحكة تثير الأعصاب.

صاح ماكس: «اغرب من هنا!».

ورأت سالي غضبه الذي لا حدود له، فأمسكت بذراعه محاولة تهدئته، ولكن الكاميرا كانت تلتقط صورة ثانية.

ضربت قدما ماكس الأرض ووقف كالبرج أمام الرجل.. وقال بلهجة صارمة:

ـ هات الكاميرا!

أمسك ميلدنغ الكاميرا جانباً يحميها:

ـ لا.. إنها لصحيفة «روكيت».

ارتفعت يد ماكس، فهوت الكاميرا متحطمة فوق السجادة، وقال بخشونة، وبلكنة نيوزيلندية:

ـ إذا حاولت التطفل على خصوصياتي مرة أخرى، فلن يكون لك عمل تعود إليه... وكذلك رئيس تحريرك.. أفهمت؟

هذا هو إذن غضب ماكس! وارتجفت سالي في داخلها.. يا له من طبع شرس!

ابتعد ستيوارت ميلدبغ وهو يحاول إصلاح كاميرته. وبدأت سالي:

ـ ماكس.. هل كان يجب..

نظرة باردة أسكتتها: «نعم؟».

أصبحت شفتاه الآن مشدودتين مخيفتين. إذا كان يكره الصحافيين إلى هذا الحد، فماذا سيكون رد فعله لو اكتشف علاقتها بذلك «الصنف» كما يسميه؟ لكن يجب ألا يعرف.. أبداً.

بدخولها إلى غرفتها، سارت نحو النافذة. ولحق ماكس بها بعد أن أقفل الباب. تمنت لو تعرف كيف تتعامل مع مزاجه الذي لا يزال متوتراً على أثر مقابلتهما النارية مع الصحافي.

سار لينضم إليها قرب النافذة، وأدارها نحوه. أحست بارتياح كبير لهدوء مزاجه، ودخلت متشوقة بين ذراعيه. راغبة في أن تضمه، وتتركه يضمها.. ووجدت نفسها تتعلق به.. تتدفق الأحاسيس في داخلها كتدفق النهر في طوفانه. تتشوق حقاً لأن تكون له..

سمعته يهمس: «سالي ديرلوف.. سالي حبي العزيز، أتعرفين ماذا تفعلين بي؟».

ردت هامسة، في تفسير متردد: «هذا لأنك.. رجل.. وأنا امرأة.. حتى ولو كانت خطوبتنا زائفة؟».

ـ وهل أستطيع منع نفسي لو أن الشخصية التي ألعب دورها جرفتني؟

ردت سالي بصوت أجش: «ولقد جرفتني أنا كذلك ماكس. أنت تتسبب لي بأشياء غريبة».

ونظرت حولها في الغرفة: «لا أحد يراقبنا ماكس.. لذا لا حاجة للتمثيل.. صحيح؟».

بدا وكأنه أحس بتوترها، فتركها، ولحقت عيناها به إلى منضدة عملها، تراقبه يلتقط الملف المنتفخ الذي وضعت فيه الأوراق المطبوعة. وقالت:

ـ آسفة، الصفحات ليست مرتبة.. كنت مستعجلة لأتحضر للعشاء، وتركت ترتيبها إلى ما بعد.

ـ لا بأس في هذا.

وتقدم نحو الباب: «لدي قاعدة أتبعها وهي أن لا أنظر إلى الخلف قبل انتهاء الكتاب.. ونادراً ما أكسر هذه القاعدة.. ليلة سعيدة سالي».

بقيت ابتسامته مرتسمة أمام عينيها حتى بعد أن أغمضتهما لتنام.

***

٦ ـ جرح في الصدر

رفعت سالي السماعة:

ـ هاي ماكس.. هل هناك عمل لي هذا الصباح؟

لقد أمضت معظم ليلها تحلم به.. وهي لا تزال تحتضن في قلبها نور ابتسامته ودفأها. أجاب: «قليلاً».

صمتت تنتظر أن يكمل، لكن الصمت طال بحيث تساءلت عما إذا كان لا يزال على الهاتف..

ـ هل أحضر لآخذ العمل؟.

ـ ولم لا؟

فكرت وهي تطرق بابه وتدخل، أنها مع الوقت ستعرف كيف تتعامل مع مزاجه الصعب.

ذكّرتها ملامح وجهه بمنظره ليلة أمس حين تعامل مع الصحافي دون شفقة.

سألت تبتسم بشجاعة: «أحلام.. سيئة؟».

ـ جداً.

ـ ألا زلت غاضباً بخصوص ستيوارت ميلديغ؟ لا ألومك.. كنت على حق في أنه يتطفل على خصو...

ـ سنسافر غداً. سنذهب جنوباً إلى «روتوروا». لدي محاضرة مسائية هناك. يتبعها لقاء اجتماعي. كوني جاهزة من فضلك... وأريد أن

www.elromancia.com

تستيقظي باكراً.

واستدار عنها. إنه يصرفها، لا شك في هذا.

هذا هو القصصي الشهير الحاقد.. وجرجرت قلبها وراءها وهي عائدة إلى غرفتها.. لقد أعاد الرجل الكبير مساعدته السكرتيرة إلى مكانها. أما عناقهما، مرتين أو ثلاثة.. فهو شيء عابر يحدث بين المعارف.

بعد نصف ساعة رن جرس الهاتف.. وقال ماكس:

ـ أنا خارج لأتمشى.. إذا كان لديك سؤال بشأن العمل فانتظري إلى أن أعود.

أجابت كسكرتيرة لطيفة، كما يبدو أنه يريدها اليوم:

ـ نعم ماكس.. لكن كتابتك واضحة وأشك في أن..

وسمعت قرقعة في أذنها ووجدت نفسها تكلم السماعة.

تجولت في الغرفة، ثم جلست تنظر إلى العمل، ونهضت. شيء ما يزعج ماكس، إنها متأكدة من هذا.. ثمة تفسير مخيف محتمل لتصرف ماكس الغريب، ظهر في رأسها.

أوه.. يا إلهي.. لا! ووضعت يدها على عنقها.. تلك المقالة التي أرسلتها عن طريق الفاكس إلى ستار وجورنال، تركت نسخة عنها على طاولتها مع أوراق ماكس! أم أنها وضعتها في الدرج؟ لا يوجد أثر لها هناك.. وتملكها الارتجاف، وأحست بحرارة الحرج والخجل وتأنيب النفس... كيف يمكن أن تكون حمقاء إلى هذا الحد؟

سارت في أرض الغرفة تتذكر تسرعها في لملمة الأوراق المنتشرة على الطاولة، ثم إسراعها إلى الحمام.. لقد وعدت نفسها أنها سترتب تلك الأوراق فيما بعد.. أمسك ماكس ليلة أمس بالملف.. وكانت هي مأخوذة بعناقه وغزله بحيث نسيت كل شيء...

لقد قال: أنا لا أنظر إلى الخلف قبل أن ينتهي الكتاب.. وتصاعد الأمل كأنه الشمس فوق مساحة ثلج.. ربما يكون غضبه هذا الصباح نتيجة مواجهته المزعجة مع مراسل الروكيت؟

لقد خرج يتمشى.. أليس كذلك؟ فتحت بابها وأسرعت نحو مكتب الاستعلام.

بللت شفتيها تبتسم لموظفة الاستعلام:

ـ هل لي.. أن أستعير مفتاح غرفة.. خطيبي؟ لقد خرج، وهناك شيء أحتاج إليه له علاقة بعمله.

تعرفت الفتاة على سالي، فأعطتها المفتاح دون تردد.

كان المغلف على مكتبه.. بيديين مرتجفتين، أخذت تفتش بين الصفحات غير المرتبة.. لكنها لم تجد الورقة الهامة.. وهذا يعني..

ـ أتبحثين عن الذهب آنسة ديرلوف؟

سقطت الكلمات عليها مثل كتلة من الثلج البارد... أخذ قلبها يخفق بألم.. ولم تستطع سوى أن تحدق به.

ـ كنت.. أنا آسفة.. لكنني ظننت.. أنك في الخارج.

ـ هذا واضح. لقد عدت.. سريعاً على ما يبدو..

وتقدم إلى المكتب: «هل هذا ما تبحثين عنه؟».

كادت تهمّ بانتزاع الورقة من يده ولكنها تمالكت نفسها. لقد رآها الآن.. فما الفائدة؟

أخذتها منه بهدوء ووقفت أمامه بقدر ما استطاعت من وقار:

ـ أجل.. شكراً لك.

وقررت أن تبقى مرفوعة الرأس حين تهبط الفأس.

سأل: «ما الدوافع؟».

ـ للكتابة عنك؟ حسن جداً.

بسرعة خاطفة أخذت تستعيد مضمون مقالتها. اطمأنت إلى أنها لم تذكر ديريك وينترتون ولا اسم ستار وجورنال.. والمقال كما هو لا يحدد الجهة المرسل إليها.. قالت بشكل تلقائي:

ـ ربما.. كمعلمة، للغة الإنكليزية..

واستدارت إلى الباب.. إلى شيء.. أي شيء، لتبتعد عنه وعن تعبير

وجهه الحديدي.

ـ هل أفترض أنها مذكرات معلمة عن تجربة خاصة ستلقيها على مسامع طلابها حين تعود إلى عملها؟

أوه.. أجل.. يا لها من طريقة للخلاص.. تمكنت أن تبتسم.

ـ المعلمة حرة.. تبقى دائماً.. أعني أنني كنت أجرب الكتابة عن...

ـ عن جوانب حياة كاتب؟

لماذا يدعمها بالأعذار، ويعطيها طرقاً للخروج من الورطة التي وجدت نفسها فيها؟

ـ ربما.

كان الصمت طويلاً بحيث وجدت نفسها تطوي الورقة المطبوعة، ثم تفتحها ثانية..

ـ أنا.. آسفة ماكس.. سأوضب أغراضي..

خطوتان أوصلته إليها.

ـ طالما.. طالما يا آنسة ديرلوف، لا تصل مذكراتك إلى الصحافيين الذين اكرههم، يبقى الأمر هيناً...

ظل الجو فاتراً بينهما لما تبقى من النهار، حتى خلال العشاء.. وأحست سالي البرودة في عيني ماكس. تحدثا بطريقة متقطعة مع فترات صمت طويلة.. بين حين وآخر، كانت تجد أن عينيه مسلطتان عليها، لكنها لم تستطع الالتقاء بهما. ما كان يؤرقها هو احتمال أن يكتشف سرها.. ولم تتوقف طوال اليوم عن تأنيب نفسها على إهمالها.

الأمر المخيف هو أنها غير واثقة من أن مثل هذا الخطأ لن يتكرر، نظراً لطريقة عيشهما الحالية، التنقل، العمل، ثم التنقل أكثر.

بلى.. هناك طريقة! سأتصل بالفاكس بديريك وينترتون، لأضع حداً للاتفاق برمته.

في غرفتها أخذت تكتب: من هذه اللحظة فصاعداً، لن تصلك مني مقالات حول ماكسيميليان ماكنزي.. إنه يثق بي كثيراً، ولن أخون هذه

الثقة بالتصرف كجاسوسة صحافية على شخصيته، مزاجه، أو غرامياته.. وهذا ما لم تكن لتحصل عليه مني على أي حال.. ولا عن طريقة عمله في إنتاج أفضل القصص.

تابعت الرسالة: كل ما أستطيع قوله هو أنه رجل رائع، صادق، وصريح، ويراعي شعور الآخرين. وكلها صفات أنا معجبة بها.. ولهذا لن تسمع مني شيئاً حول المواضيع المذكورة أعلاه.

أضافت: أخيراً، ومع أن خطوبتنا زائفة، فنحن، ولأسباب عديدة، شخصية وعملية، نتعامل معها على أنها واقعية.. وهذا يعني أنني يجب أن أكون مخلصة له مهما كان الثمن.. على أي حال سيد وينترتون.. وهذا سرّ أنتمنك عليه.. أنا أحبه كثيراً لدرجة أنني لن أفعل أي شيء أبداً، أبداً، لأذيته... أنا مستقيلة من المهمة.. ولو أدى ذلك إلى خسارتي العمل في الصحيفة، فليكن.. هذا أمر نهائي، ونحن سننتقل من هنا.. لذا أرجو أن لا تحاول الاتصال بي مرة أخرى.. تحياتي لخالي.. سارة ديرلوف».

وهي مستلقية فوق السرير قبل العشاء في غرفة الفندق الجديد، تصغي إلى أصوات الطبيعة الرائعة في الخارج، تذكرت سالي اليوم الذي أمضته إلى جانب ماكس وهو يقود جنوباً نحو مقصدهما.

في الطريق، زارا كهوف «وايتومو» الشهيرة وشاهدا الغرف الضخمة المحفورة في الصخر الكلسي، وغابات من الرواسب البيضاء العظيمة المدببة الرؤوس..

ـ أوه ماكس.. هذه تجربة لن أنساها أبداً!

قال: «لقد رأيتها من قبل، لكنني أردت أن تريها بنفسك».

وجدت كلماته لطيفة بشكل غريب، وقالت:

ـ إنها شيء يجب أن يراه العالم كله.

ولم تعرف كيف التصقت به.. إلى أن أحست بضغط ذراعه عليها.

سعت عيناها إلى عينيه على ضوء النجوم.. وبشعور غامر بالارتياح، وجدت فيهما الدفء الذي افتقدته خلال اليومين المنصرمين.

هل صدق التفسير الذي ساعدها دون أن يدري على اختراعه؟ وتساءلت، هل سامحها؟ هل عادت ثقته بها؟

كانت المحاضرة في غاية النجاح. وبدا أن نادي المعجبين قد اكتشف مسبقاً أن خطوبة ماكس وسالي قد ظهرت للعلن في بلده نيوزيلندة، واحتفاءً بالزواج السعيد، قرر النادي أن تكون المصاريف على حسابه.

فيما بعد تجمع المعجبون حول ماكس بنسخ من آخر كتاب له، يسعون إلى توقيعه.. ولفترة وقفت سالي إلى جانبه، مستغرقة في دورها، ليس فقط كخطيبة، بل كمساعدة أيضاً، وهي تشعر بالسرور، وكأنها فعلاً زوجة المستقبل.

تسللت سالي مبتعدة دون أن يلحظها أحد، وأخذت تجول في المكان، تاركة ماكس يقوم بعمله.

خلال المحاضرة، لاحظت سالي في آخر القاعة شاباً يجلس لوحده. كان لا يزال هناك، لا يتكلم مع أحد، يشرب كوب العصير.. وقررت سالي أنه خجول بطبعه. بابتسامة ودية، اتجهت إليه.

حين رآها تقترب، قام مذعوراً وأخفى دفتر ملاحظاته.. هناك عدد من المعجبين سجلوا ملاحظات عن محاضرة ماكس وعن كل كلمة تلفظ بها. وحاول الشاب الابتعاد عن المكان. نادته سالي:

ـ سيد.. إذا أحببت أن يوقع لك السيد ماكنزي كتابك، فسيكون مسروراً.

لكنه كان قد وصل إلى الباب وخرج إلى الشارع قبل أن تصل إليه.

أدركها التعب.. لكن بدا من الواضح أن المعجبين لم ينتهوا بعد من بطلهم.. واستطاعت بتصميم، أن تخترق الجموع لتصل إلى جانب ماكس.. كان مستغرقاً في الحديث، فلامست يده.

لدهشتها.. قفز مجفلاً وكأنها لسعته. استدار نحوها، فتمتمت بنعومة:

ـ يومنا كان متعباً.. حبيبي.

كلمة التحبب بدت غريبة على شفتيها، لكنها كانت متأكدة من أنها الكلمة التي ينتظرها منها المعجبون به.

ـ لذا.. إذا كنت لا تمانع.. سأصعد لأنام.

ارتفع حاجبه متسائلا.. لكنه ما لبث أن فهم الموقف، وقبل أن تدرك ما يجري، كانت بين ذراعيه تتلقى قبلة الإخلاص.

إضافة إلى توقيع عشرات الكتب، بدا وكأن قبلته هذه كانت بمثابة قبلة على قلب كل امرأة رومانسية.

في ضوء النهار المتلاشي، خرجت سالي إلى الشرفة، ونظرت إلى المشهد الرائع أمامها.

كان البخار يتصاعد من الأرض. بينما على مسافة متوسطة، وسط الأدغال والشجر، كان يتصاعد عمود بخار من نبع «مياه كبريتية» وكأنه نافورة مياه، يرعد ويندفع في الهواء عالياً مع النسيم، وكأنه يستقبل طلوع القمر بنوع ملتوٍ من الغضب.

قال صوت ماكس من ورائها وهو يتقدم ليقف إلى جانبها:

ـ أنت تنالين التكريم.. «يوهوتو» لا يُظهر عادة مثل هذه القوة والجمال للسواح.

ساد صمت قصير، ثم أكمل بحدة:

ـ من كان الرجل الذي شاهدتك تلاحقينه بعد المحاضرة؟

ابتسمت سالي:

ـ معجب خجول جداً، حسب حكمي. ناديته لأقول له إنك ستكون مسروراً لتوقيع كتابه.. لكنه هرب وكأن قطيعاً من الفيلة يطارده.

ـ وهل أنت متورطة في العلاقات العامة؟

كان لكلماته رنة ساخرة، لكن لهجته كانت لينة. وتسللت يده تلاحق شكل جسمها النحيل، تمكنت أن تقول بصوت أجش:

ـ كتيب الدليل يقول إن «يوهوتو» هو أشهر مركز للمياه المعدنية الساخنة في نيوزيلندة.

الحركة البطيئة والماكرة ليديه، صعّدت الدفء إلى جسمها كله.

قال، دون تركيز ويداه تتحركان إلى الأعلى:

ـ بوهوتو مزاجي.. ولا أحد يعرف بالتأكيد متى ينفجر.

وتصاعدت مشاعر جففت فمها وحبست أنفاسها في رئتيها. تراجعت إلى الوراء برعب:

ـ لكن.. ماكس تذكر أننا لسنا حقاً..

ـ أوه.. هذا حقيقي بما يكفي آنسة ديرلوف. هذا الرباط بيننا.. تحملين خاتمي.. وأعطيتك اسمي.. ولو على أساس مؤقت.. وهو شرط قبلت به، خطوبة تدوم بضعة أشهر، وربما سنة. لذا كوني منطلقة سارة ديرلوف.. علقي كل شكوكك، كما فعلت أنا.. أنا مندمج في دور الزوج المستقبلي، وهذا الدور الذي ألعبه سيقودني إلى الهدف النهائي..

كان الإحساس الذي يثيره في داخلها كالإعصار، يجردها من كل قوتها.

أكمل ماكس بصوت أجش:

ـ لقد سحرتني أيتها الساحرة.. بعينيك المليئتين بالتحدي، والمترددتين كالشيطان.. حكمتك الدنيوية تمتزج ببراءة الطفولة.. ومهما خبأ لنا المستقبل، أو تفرقت بنا السبل، فإنني.. أريدك.

ضمها بحنان، وقال بصوت أرسل رجفات خوف في جسمها:

ـ لو حاولت خداعي سارة.. لو اكتشفت يوماً أنك خنت ثقتي بك.. أقسم أن..

واشتدت ذراعاه حولها بعنف، فصاحت مذعورة متألمة وقد أحست بشيء صلب وحاد يقطع بشرة صدرها، فارتد ماكس مبتعداً.. وبذهول ممزوج بالرعب رأى الجرح الصغير النازف في صدرها والدم الذي لطخ قميصه.

ـ يا إلهي! ماذا..؟

شهقت سالي:

ـ قلادتي.. القفل فيها لا يعمل.. ينفتح دائماً. والحروف الداخلية

جرحتني.

جلست مرتجفة:

ـ لقد أصلحه جيرالد. لكن يبدو أنه لا يزال سريع العطب.

وشاهدت الدم على صدره.

ـ ماكس.. أنا آسفة جداً.. سأحضر شيئاً كي..

ـ انسي أمري.. أنت التي بحاجة إلى الرعاية.

أنتزع القلادة، ورماها أرضاً.. ثم جاء بمحارم ورقية وأخذ يمسح الجرح بلطف.

أخيراً توقف النزيف.. شكرته ونظرت حولها تفتش عن القلادة.. فأرعبها أن وجدت محتوياتها منتشرة على الأرض، وخشيت الأسئلة الحتمية، حين رأت ماكس يلتقط المحتويات المبعثرة.

ـ من هذا الرجل؟

ـ قلت لك.. لقد أصلح جيرالد قفلها.. ووضع صورته فيها.

ـ وتركتها هناك؟

هزت كتفيها آملة أن تقلل من أهمية الأمر، وقالت بصدق:

ـ لم أهتم بإزالتها.

ـ إذن جئت معك بصورته؟ مع ذلك تركتني أغازلك؟

كيف يمكن أن تقول له: لم أستطع مقاومتك؟ وإن مشاعرها نحو جيرالد قد تلاشت أمام الأحاسيس التي لا تقاوم والتي أثارها ماكس فيها؟

ـ لقد عرفت جيرالد لسنوات. إنه مجرد صديق. أحب أن يكون أكثر من هذا.. لكن..

ـ لم تستطيعي أخذ القرار؟

ـ ربما.. إذا شئت.

ونهضت بغضب تلتقط ما تبقى من محتويات القلادة. قالت تشرح بسرعة:

ـ عنوان أمي.. في حال حدوث شيء...

قاطعها ماكس: «ظننتك قلت إن الاسم هو جيرالد؟».

ـ صحيح.. لماذا؟

ثم تذكرت.. وحاولت انتزاع قطعة الورق. لكنه قرأ:

ـ ديريك و.. صديق آخر في اللائحة؟

أوه.. يا للسماء.. وتأوهت بصمت. هل هذه هي النهاية؟ هل سرها الرهيب على وشك أن يظهر إلى العلن؟ لكنها تذكرت أنها سجلت رقم هاتف ديريك الخاص في ستار وجورنال وأن رقم الصحيفة في لندن تحفظه عن ظهر قلب. ردت بابتسامة مرتجفة:

ـ ربما، إذا كان لدي لائحة.. ألا يثبت هذا أن ما من شخص مميز عندي؟

وأرادت أن تضيف: ما عداك.

رنين جرس الهاتف خرق الصمت المتوتر. ولأن ماكس كان الأقرب، التقط السماعة.

ـ غرفة سارة ديرلوف.

بوضوح وصلها الصوت عبر آلاف الأميال.

ـ هل سالي هنا؟ قل لها أرجوك أن د..

بذعر انتزعت السماعة من ماكس، وصاحت:

ـ كيف عرفت أين أنا؟

وسمعت ضربة من الجهة الأخرى كادت تؤذي أذنها. حاولت أن تبتسم، لكن بارتجاف:

ـ لا بد أنه.. أغمي عليه.

ـ هل هو جيرالد وقد عرف أن رجلاً آخر في غرفتك؟ أم أنه ديريك؟

ـ ربما كان ديريك.

وكان من المؤكد أنه ديريك.. الذي أدرك من يرد عليه في غرفة سالي، فقرر أن يغوص إلى قعر المحيط الفاصل بينهما. عند الباب، توقف ماكس.. قال بابتسامة ساخرة:

ـ أين سأكون على لائحة عشاقك؟ في آخرها؟

ردت صادقة: «بل في أعلاها ماكس».

ونفضت شعرها إلى الوراء تشعر بالعرق يتجمع على جبينها، بعد خلاصها من هذه الورطة المباغتة.

***

www.elromancia.com

٧ ـ الهبوط إلى الجحيم

قال ماكس مساء ذلك اليوم:

ـ سأرمي برنامج عملي جانباً.

كانا قد أمضيا الوقت في العمل، تتخلله فترات تفرج على المناظر.. رافقها في جولة حول المنطقة، لتشاهد الصخور والمنحدرات الشاهقة التي تخرج منها موجات من البخار، وشلالات الماء الساخنة..

رأت البحيرات الساخنة التي يتصاعد منها البخار بالألوان الصفراء والبرتقالية والخضراء والسوداء.. حتى أن بعضها كان يغير ألوانه وهي تنظر إليه.. شهقت سالي لفوهة بركان تغلي بلون الحبر تدعى «انفيرنو كرانير» أي فوهة الأتون.. عمقها مليء بالوحل المغلي. كان هناك بركة تدعى رشامبان.. لأنها تبقبق.. وأخرى تدعى «آرنست باليت» ظلالها من كل لون تتغير باستمرار.

رفعت نظرها إليه: «ماكس.. أنا سعيدة جداً بإقامتي في بلادك.. ولقد أحببتها أكثر لأنك معي».

تمتم يشدها إليه.

ـ لم ترى شيئاً بعد! هناك الكثير في الانتظار.. جزيرة الجنوب مثلاً، بحقولها الخضراء الفسيحة المليئة بالخراف. هذا دون ذكر الألب الجنوبية، وسلاسل الجبال المغطاة بالثلج.. إضافة إلى الأنهار المجلدة، وغابات المطر الاستوائية، والمستنقعات... على أي حال.. من غير المحتمل أن تريها

جميعاً.. لقد اتصلت بمكتب أوكلاند وألغيت المحاضرتين التاليتين وتواقيع الكتب.

ـ وأين سنذهب بدلاً من هذا؟

ـ لزيارة أقاربي.

سيأخذها لزيارة أقاربه؟ سألت: «والداك؟».

ـ لا.. عمتي وعمي وجدي.. وبعض أفراد العائلة.. والدتي تعيش في القسم القديم من البلاد، حيث بنيت بيتي. أما والدي فقد مات حين كنت صبياً.

ـ آسفة لهذا.

إنها لا تعرف سوى القليل عنه، عن حياته قبل أن يلتقيا.. لكن لم يكن هناك أي داع لأن تعرف، قبل ذلك الحادث الذي أقحمها في حياته وقلب حياتها رأساً على عقب.

بللت شفتيها: «وهل.. سأنتظر في السيارة.. وأنت تقابلهم؟».

ضحك: «اليومين؟.. وربما أكثر.. هذا يتوقف..».

ـ لكن.. هل يعرفون الموقف الحقيقي بيننا؟

ساد صمت طويل..

ـ أخبريني سالي.. ما هو الموقف الحقيقي بيننا؟

نظرت إليه بحدة، وأحست بوخزة خوف صغيرة تحت ضلوعها.. ماذا يعني؟

ـ أنت تعرف ماكس.. إننا ندعي فقط.

ـ هل ستتمكنين من متابعة هذا الادعاء تحت مراقبة عائلتي المحبة؟

ـ هذا سيعني التظاهر، أليس كذلك، بأنني أحبك؟

وتابعت بابتسامة: «وهل ستتمكن أنت من متابعة الادعاء بشكل مقنع.. أعني وأنت بين أناس يعرفونك أكثر مما أعرفك أنا؟».

نظر إلى وجهها بابتسامة غامضة.. لكن رده جاء صريحاً حاسماً:

ـ ليس من الصعب على رجل عادي، حامي الدم، أن يدعي حب فتاة

جذابة.. وهذا ما أنت عليه دون شك، ولو أنك قد تجهلين نفسك.

ردت عليه بالقسوة ذاتها:

ـ ولن يكون من الصعب على امرأة أن «تدعي» حب مؤلف شهير، تخفق القلوب له، وتنتشر كتبه في العالم كله، وقد أوصله نجاحه إلى حساب مصرفي كبير.

رد بصوت منخفض: «يا إلهي!... هذه المعلمة تستطيع أن تسحب الدم من العروق حين تثور؟ أخبرين آنسة ديرلوف، ألم يذهب أحد تلاميذك يوماً إلى منزله وهو يعرج من جراء أحد تعليقاتك اللاذعة الساخرة؟».

أدارت سالي وجهها عنه، تداري كبرياءها من كلامه الصريح.. لكن، أليست هي الغبية، إذ تصدق أن عناقه لها، ومداعباته تعني شيئاً؟ إنه رجل أثاره قربها منه.. هذا فضلاً عن مشاعرها التي لم تخفها.

تابع قائلاً: «أعتقد أن الأهداف متعادلة سارة».

واستدار إلى طريق وعرة كثيرة الحجارة، بين حقول مليئة بالخراف.. وأكمل:

ـ بعد النقاش، نجد أنفسنا في اتفاق حول متابعة الادعاء في خطوبتنا الزائفة، كما قررنا، إلى أن يأتي الوقت المناسب لإنهائها.. موافقة؟

طغى عليها شعور بالارتياح وهي ترد: «أجل».

سيكون لها لمدة أطول.. تنظر إليه بإعجاب، تمسك يده، وتشعر بذراعه تلتف حولها كلما تطلب الموقف الاجتماعي ذلك.

كان المنزل يسمى «توتارا لودج» على اسم شجرة نيوزيلندية أصيلة، كما شرح لها ماكس.. كان مبنياً من الخشب، مثله مثل معظم منازل البلاد، نوافذه الناتئة إلى الخارج بشكلها المثلث، كانت تندفع متحررة من سقف ألواح خديد مموّج.

كان الترحيب حاراً. وشعرت سالي بالأمان لحظة دخولهما.. كان داخل المنزل يطغى عليه اللون الأخضر، يوازنه لون الستائر والسجاد الخوخي الناعم.

ارتفعت ذراعا عمته تحتضناه:

ـ ماكس، عزيزي، كم هو رائع أن أراك! عمك رون سيأسف كثيراً لأنه ذهب إلى «كريستشيرس» في عمل.. منذ متى لم تزر هذا الجزء من العالم؟

قال صوت أجش من ورائها:

ـ منذ سنتين أو أكثر.

ابتسم ماكس بمحبة ظاهرة:

ـ جدي..! عظيم أن أراك بصحة جيدة.

قال الرجل الطويل الأشيب الشعر:

ـ يجب أن تأتي إلى هنا دائماً.

وتبادل الرجلان المصافحة والعناق:

ـ لديك مال يكفي كما نسمع، فلا عذر لك.. نحن نرى كتبك معروضة للبيع في كل مكان. ونحن فخورون جداً، يا فتى.. انظروا من معه.

تقدمت سالي إلى جانب ماكس، وهي كانت تقف وراءه، وتلقت بدورها احتضاناً من العمة، ألحقته بقبلة حارة على الخد.

قالت سالي وقد مرت يدها إلى الجد الذي قبل خدها بدوره:

ـ سعيدة بمقابلتك سيد هايوارد.

قال الجد: «عزيزتي، ناديني بـ «جدّي»! الجميع يناديني هكذا».

ردت سالي عليه: «أجل، جدي».

وبنظرة لائمة زائفة من فوق كتفها نحو ماكس، أضافت بابتسامة:

ـ لا أستطيع القول إنني سمعت الكثير عن عائلة ماكس..

قالت السيدة هايوارد: «وأنا نادني بالعمة ديلبا، عزيزتي.. فهذا لن يبدو رسمياً.. على أي حال، ستصبحين واحدة من العائلة، أليس كذلك؟ لقد سمعنا الكثير عنك.. كان ماكس يتصل بنا يومياً منذ وصلتما إلى البلاد.. أليس كذلك ماكس؟ وكان دائماً يقول: سالي كذا.. رسالي

كذا...».

احتجت سالي: «هذا غير صحيح!».

ـ بلى عزيزتي.. هذا صحيح. أترين كم هو مولع بك؟.. سأقول لك سراً.

وتظاهرت بالهمس: «إنه مولع بشكل خاص بتلفظ اسم عائلتك».

ضحكت سالي واستدارت إلى ماكس بعينين بارقتين.

ـ أنت محقة في هذا.. ولا أدري لماذا.

وضحك الجميع.

ذهلت سالي لكثرة مخابرات ماكس. الأمر الذي لا يعني سوى أنه كان يعرف منذ بداية جولتهما إلى أين يتجه.. مع ذلك لم يقل لها.

لكن، ماذا يقول لها؟ طوال الوقت هي في الواقع موظفة عنده، وليست خطيبته.. أما ذكره اسمها باستمرار في مكالماته لعمته، فما من شك أنه كان يمهد الطريق بذكاء لدخولها إلى العائلة، وتقبلها.

ابتسمت العمة وقالت بدعابة ماكرة:

ـ لقد وقعت هذه المرة.. أليس كذلك ماكس؟

ابتسم بغموض، وامتنع عن الرد.

وقع؟ إنه يمثل! ويستحق جائزة أوسكار.. وتابعت العمة:

ـ أوه.. يا له من خاتم جميل سالي! انظر جدي، إنه حتى أفضل بكثير من الذي..

ولم تتغير ابتسامتها وهي تغير الموضوع: «والآن أعزائي، ما رأيكما بكوب من الشاي؟».

تحدثوا، وضحكوا وشربوا الكثير من الشاي، وتناولوا خبز الفاكهة والكايك المصنوع منزلياً، والخارج طازجاً من الفرن.. جاء الجيران والأصدقاء وذهبوا، وقد دعتهم العمة للقاء ابن أخيها الشهير. كانت تصرفاته، مثل ثيابه، مرتاحة غير رسمية. وأمام عيني سالي المذهولة، بدا سعيداً.

صافح الجميع سالي ورحبوا بها بحرارة في بلادهم معبرين عن فرحتهم لأن ماكس وجد لنفسه مثل هذه الزوجة المستقبلية الرائعة الجمال.

مع تقدم الأمسية، أخرجت سالي مذكرات جدها، وأخذت تعرضها مع البطاقات البريدية وقصاصات الصحف على جد ماكس.

وقف ماكس متظاهراً بالاحتجاج:

ـ أنت تظهرينها لجدي.. وليس لي.. مع أنني طلبت أن أراها.

دعاه جده، آخذاً كلامه على محمل الجد..

ـ انضم إلينا ماكس.. هناك مكان دافىء حميم لك قرب سيدتك العزيزة.

رفعت سالي رأسها بسرعة، والتقطت ابتسامة ماكس الساخرة.. سيدته العزيزة؟ كم تتمنى لو تكون!

سأل ماكس:

ـ هل تعني: حبي العزيز؟

إنه يستخدم اسمها مرة أخرى، وكأنه يعني حقاً ما يقول.. ودس وركيه النحيلين في المساحة الضيقة إلى جانبها، ومد ذراعه حولها.

ردة فعلها اللاإرادية، استجابت على الفور للضغط، وأدارت وجهها محمراً نحوه، فقبله على الفور.

أشار الجد:

ـ هذه «أنفير كيرجيل» ماكس، كما كانت في العقد الأول من هذا القرن.. وهذا شارع «دي» العريض كما أذكره حين كنت مراهقاً، والعربات تجرها الخيول في وسطه.. الآن ثمة أشجار نخيل في وسطه تقسمه إلى اثنين. وانظر كم كان شارع «تاي» عريضاً في تلك الأيام. لكنه كان وعراً ومليئاً بالحفر، ولا وجود لسيارة فيه. يجب أن تأخذها إلى هناك بني، يجب أن تسير على خطى جدها، قبل أن تعيدها إلى الجزء الشمالي من العالم، وتتزوجها.

أرادت سالي أن تقول: إنه لن يتزوجني.. وتمنت لو تكون صادقة مع

هؤلاء الناس الدافئي القلب.. واستجاب ماكس لطلب الزائرين الذين أتوا بكتابه ليوقعه مع تمنياته الطيبة.

أشارت سالي ضاحكة: «وظننت أنك تتهرب من جلسات التوقيع بإلغاءك جدول مواعيدك؟!».

وقفت في غرفتها ذلك المساء، تتأمل الطبيعة مع بداية غروب الشمس التي تتهيأ للشروق في الجانب الآخر من الأرض، حيث تعيش أمها مع زوجها.. وجيرالد.. وديريك وينترتون، الذي، بالرغم من قطعها روابط المهنة معه، ما زال يلاحقها نهاراً، ويرعبها في منامها. لن تنسى هذه الزيارة أبداً، هذا المكان، هذه التجربة بأن تكون خطيبة رجل مثل ماكس ماكنزي ولو لوقت قصير رائع، والإحساس بالانتماء، ليس فقط له، بل لعائلته، ولبلاده.

صوت عند الباب، أدارها بحدة، لترى ماكس يقف هناك؛ كتفه على إطار الباب، ويداه عميقتان في جيبي بنطلونه.. كان قميصه غير مزرر، وشعره مشعثاً بعد الحمام.. ومنشفته فوق كتفه.. أخذت عيناه تلاحظان باهتمام كتفيها اللذين كشف عنهما القماش القطني المخطط، المفتوح عند العنق.

سألها الآن: «كيف حال جرحك؟».

ردت بسرعة، وكأن هذا سيغلق الموضوع ويذهب:

ـ يشفى بشكل جيد.. شكراً لك.

ـ لم تعودي تضعين القلادة.. لماذا؟ هل تظنين أنني سأكرر ما فعلت وأجرحك مجدداً؟

كان في عينيه نوايا سوداء، أخافتها، وأثارتها معاً. صاحت:

ـ لا.. ماكس يجب ألا نكون هنا! ماذا ستظن عائلتك؟

ـ ستظن أننا نحب بعضنا.. وإنني لا أستطيع الابتعاد عنك.. لا تخافي ديرلوف، حبي العزيز، لأننا مخطوبان، وهكذا يظنان، فهما يتوقعان أن نجتمع معاً. إنهما معجبان بك.. وقد علمت ذلك منهما.

ـ وهل يهم لو لم أعجبهم؟

ضاقت نظرته قليلاً، وتغيرت لهجته:

ـ أجل.. يهم..

تقدم ببطء، ينظر إليها من الرأس إلى القدم، وتمنت لو لم يكن فستان نومها القطني رقيقاً.

ـ لكننا لا ننتمي لبعضنا ماكس، أنت تعرف هذا مثلي تماماً.

ـ لا ننتمي إلى بعضنا؟ نستطيع تغيير الأمور الآن، سالي ديرلوف.

مال برأسه يريد أن يلثم جرحها من فوق الضمادة، وقال معلقاً، بمرح:

ـ تقبيل الجرح قد يعجل بشفائه.

فجأة تخلى عن مرحه، وأصبحت عيناه حادتين حساستين:

ـ أريدك سالي.

بدأت ترتجف: «ماكس.. أتعرف ما تقول؟».

ابتسم بتوتر: «أتظنين أنني لا أعرف ما أقول؟».

ولف ذراعيه حولها: «لقد ضاع عقلي بسببك.. ولا بد أنك تعرفين تأثيرك على الرجال. أنت لست بريئة، مع صورة صديقك في القلادة، وهي تتدلى عميقاً على صدرك.. وأنا لا أشك أنه يعرف كل شيء عنك..».

ـ لا!

وقالت سالي لنفسها إنها أخطأت في قولها هذا وكان يجب أن تقول نعم إنه لي وأنا له.. غير أنها لم تستطع الكذب، خصوصاً بعدما أرسلت استقالتها إلى ديريك وينترتون.

ـ أتقولين لا؟ هذا يشعل رغبة الرجل أكثر؛ فهو يجد نفسه في مواجهة خصم ويريد أن يهزمه وينتصر عليه.. ضعي يدك هنا، على قلبي.. أتشعرين به يخفق؟ إنه يعبر عن قوة حاجتي لامرأة.. لك..

تذكرت أنه قال لها: ليس من الصعب على رجل بدم حار أن يدعي حب امرأة جذابة. ذكرت نفسها بكلماته. لكن لا نفع في هذا، فهي تحبه

أكثر من أن تتمالك نفسها وتبتعد، مدعية حبها لصديقها الغائب.

كانت تتشوق للحنان.. لكنها لم تجد سوى المشاعر القاسية والحاجة الملحة، وتراجع رأسها إلى الوراء ثم استجابت لعناقه بخجل.

بعد قليل همس: «نامي الآن. أنت رائعة سارة ديرلوف! لكنك على ما يبدو جديدة على هذه التجربة.. لذا لن أفعل شيئاً يؤذي مشاعرك».

تقديرها لمراعاته مشاعرها، جعلها ترفع نفسها لتطبع قبلة على خده.

قال ممازحاً: «شفتاك رسميتان.. ماذا فعلت لأستحق هذا الجفاء».

ضحكت سالي، وبخجل رفعت نفسها ثانية تعانقه.. لكن، كان من الواضح أنه لم يكتف.. فشدها إليه بقوة.. حتى شهقت طلباً للرحمة.

أخيراً تركها تستريح، وخرج. أما هي فذهبت في نوم هادىء عميق.

استيقظت كالحالمة بعد ساعات، على طرقات خفيفة على بابها، قالت بصوت ما يزال النعاس يطغى عليه: «تفضل» وعندما انفتح الباب وجدت أن ماكس هو الطارق.

ـ ماكس.. كم الساعة الآن؟

ودفعت عنها الأغطية، ثم توقفت بخجل.

ضحك لخرجها، وجلس على السرير، يرفع يدها ويقبل الخاتم في أصبعها.. وعلق بشوق:

ـ أنت جميلة تماماً في كل الأوقات.. هل يستطيع الرجل أن يقول هذا لأكثر من امرأة؟

ثم انحنى يهمس في أذنها: «ستكونين لي.. مهما حمل المستقبل لنا، فلا تنسي أنك ستكونين لي.. سالي ديرلوف».

صاحت، تعني ما تقول.

ـ أبداً.

ثم استيقظ تفكيرها الحالم تماماً، وفهمت الكلمات التي قالها «مهما حمل المستقبل لنا».. وسرت فيها رجفة ارتباك.

أبعدت عنها هذه الأفكار. فمهما كان يعني، لن تترك كلماته تفسد

سعادتها الآن.

التقت عيونهما بنظرة دافئة وأحست بوهج السعادة يجتاحها. إنه يحبها، بهذا فكرت.

بعد الفطور تجولا في الحديقة يداً بيد، وتنعمت سالي بدفء الشمس، التي طلعت في سماء زرقاء صافية.

لحظة ظهورها للفطور، لاحظت عمة ماكس إشراقها.. وابتسمت لها تلك السيدة، ثم رمقت ابن أخيها، الذي كان وجهه مشرقاً لكل من ينظر إليه.

قرب بركة السباحة، أخذ ماكس يلاحق بإصبعه قسمات وجهها، وحول عنقها.

سألت بصوت لا يخلو من غنج ودلال:

ـ هل هذا توطئة لإغراقي، أو لخنقي؟

رد بابتسامة غامضة: «سأتركك تحكمين بنفسك».

التقطت أذناها جدية مخبأة، وقفز قلبها خوفاً.. ماذا يعني؟ لكن مخاوفها ذابت أمام مداعباته الناعمة.

وهي تمد يدها لتشد بحب خصلة من شعره الأسود الكثيف.. سمعت خشخشة بين العشب المتنامي في الجهة الأخرى من السياج. سألت مبتسمة: «حيوان بري؟».

لم يكن في عينيه أي ابتسام بل كانتا بقساوة الألماس.

ـ بإمكانك قول هذا.

ضم شفتيه بقوة وقفز بسرعة نحو الصوت.

لحقت سالي به، لتتوقف مذعورة حين رأته يقفز فوق الرجل الذي كان مختبئاً هناك، ويأخذه بعنف من ياقته.. إنه ستيوارت ميلديج من صحيفة «إيفننغ روكيت». وأخذ ماكس يهزه ككلب متسلل.

ـ أخرج من حياتي ميلديج.. وإلا سأقاضيك حتى آخر قطعة نقد معك!

ترك الرجل المشعث، ونظر إلى البعيد..

ـ من هو ذلك الحقير الذي يهرب هناك؟

ـ إنه..

وتنحنح مرتبكاً: «المصور. لقد أخذ صورة أو صورتين...».

ـ إذا نشر رئيس تحريرك أية صورة للآنسة ديرلوف ولي.. سأدمر صحيفتكم! وإذا أرسلت مثل هذه الصور حول العالم، سأبذل جهدي كي لا تحصل أنت أو صديقك المصور على أية وظيفة صحافية.. هل هذا واضح؟

حاول المراسل تصحيح وضعية ثيابه: «كنت أنفذ التعليمات سيد ماكنزي.. مرحباً سالي».

فهمت سالي أنه يحاول تبرئة نفسه بالتودّد إلى أحد الشخصين اللذين يتلصص عليهما، لكن ماكس لم ينظر إلى الأمر هكذا.

التفت بنظرة ثلجية إليها، ثم تركها ترتجف لينظر إلى الخصم الرئيسي.

قال ستيوارت ميلديج متلعثماً:

ـ لا تَلُمني سيد ماكنزي.. كنت أقوم بعملي.. رئيس التحرير أراد القصة عنكما.. وآخرون كذلك عبر البحار.. وهي تعرف عبر رئيس تحريرها..

صرخت سالي بغضب مذعور:

ـ لم أكن أعرف.. أقسم أنني لا أعرف!

أكمل ماكس مع الرجل، متجاهلاً اهتياج سالي:

ـ إذن.. حتى أنت كنت تعرف أنها صحافية سرية؟

أحست سالي بالإحباط، كيف يمكن لها أن تنكر مثل هذا الاتهام؟ في وقت ما كان الاتهام صحيحاً... في بداية تعرّفها إلى ماكس...؟

أشار ستيوارت برأسه إلى الممر الذي هرب منه صديقه:

ـ هذا الرجل.. هانك فيلتون.. تكلمت معه سالي في حفلة المعجبين.. قال لي هذا.

ردت سالي بصوت مرتفع:

ـ ظننته معجباً مثل غيره.. يريد توقيع كتبه.. أقسم ماكس.. أنا لم أكن أعرف أي شيء عنه.

وتلاشى صوتها.. فقد بدا ماكس أكثر ميلاً إلى تصديق المراسل منه إلى تصديق المرأة الذي كان يغازلها.

قال ماكس ببرود:

ـ لا تعرفين؟ لكنك لحقت به إلى الخارج. لقد راقبتك. نظرة واحدة إلى ملابسه، ومراقبة سريعة لحركاته كانت كافية لأعرف، ليس فقط عمله، بل سبب وجوده هناك.

عاد اهتمامه إلى المراسل:

ـ اخرج من هنا ميلديج.. ولو رأيت وجهك الكريه مرة أخرى في هذا المكان أو في أي مكان آخر قريب، لن أكون مسؤولاً عما سأفعله، أو عن أي شخص آخر قد يكون معك!

تابع ميلديج ضغطه: «لكنك كنت صحافياً سيد ماكنزي، لذا يجب أن تعرف ما هي مهنتنا».

لكن ماكس ماكنزي لم يتحرك.

أحنى المراسل رأسه وأطاع أوامر ماكس، وابتعد.. يجرجر قدميه كأنه تلميذ مدرسة مطرود.

وهي تراقب ابتعاد المراسل، وجدت سالي نفسها تتمنى لو أنه لم يذهب. الآن سيحلُّ عليها غضب ماكس. كيف ستتحمل أن يرميها إلى الأسود؟.. وكيف ستجد الهبوط إلى ظلمات الجحيم بعد أن وصلت إلى القمة، وداست على الغيوم المرتفعة التي رفعها إليها معرفتها بأن ماكس يريدها ويحبها.

***

٨ ـ اعترافات

استدار ماكس ليواجهها. قال بصوت خشن، وعيناه السوداوان تتهمانها بقسوة:

ـ هل تعتقدين فعلاً أني قليل الفطنة والذكاء، بحيث لم أكن أشك طوال الوقت فيما تنوين عمله؟

أوه.. يا إلهي.. إنه يتصبّب عرقاً! إن أي إنكار سيزيد غضبه!

سألت، آملة أن تكون أخطأت في توقُّعها:

ـ ماذا.. ماذا تقول؟

رفعت نظرها إليه، تتأمل وجهه، تتذكر كيف استجابت لعواطفه قبل ساعات قليلة.

همست الريح عبر الأشجار.. وأطلت عليهما النوافذ من البيت متسائلة.. ما الذي حدث لسعادتها منذ خرجت إلى أشعة الشمس قبل ساعتين، يداً بيد مع الرجل الذي تحب؟

هذا الرجل يقول الآن بوضوح:

ـ أقول.. إنني شككت باكراً في الأسباب الحقيقية لظهورك المفاجىء في حياتي.. لقد اخترعت قصة الحقيبة المفقودة للتقرب مني.

ـ هذا غير صحيح.. غير صحيح!

لكنه كان قد أغلق دماغه أمام أي دفاع من قبلها.

أكمل دونما شفقة: «لقد شككت في أن تعثرك في المطار كان صدفة. في البداية، كنت مقتنعاً أنك من المعجبات، تجدين طريقة مبتكرة للتسلل إلى حياتي الخاصة.. لكنني لم أخمن ساعتها، من أنت فعلاً، وماذا تمثلين. فهذه المعرفة جاءت فيما بعد».

عضّت سالي شفتها السفلى.. كيف تدافع عن نفسها؟

ـ لقد أعطيتك الكثير من الفرص لتعترفي بالموقف الحقيقي.. حين وجدت تلك المذكرات المزعومة بين أوراقي، لماذا لم تكوني صادقة معي؟ لماذا لم تقولي إنها مقالة لستار وجورنال؟

تنفست بألم.. إنه يعرف اسم الصحيفة حتى! وتابع هجومه:

ـ حين اتصل وينترتون، وأخذت أنا المكالمة.. لماذا تظاهرت أنه صديق آخر، بدلاً من أن تقولي لي إنه رئيس تحرير صحيفة يريد حصته من سيرتي.. المقالة التي وعدته بها؟

لم تستطع قول الحقيقة.. وهي أن اعترافها كان يعني خروجها من حياته، وهذا ما لم تكن تستطيع مواجهته. ولا تستطيع الآن مواجهته.. لكن عليها أن تجد نوعاً من الرد، مهما بدا له ضعيفاً.

ـ.. ربما لأنني أردت أن أرى العالم...

قاطعها وعيناه تلمعان بشيء ما.. لا يعقل أن يكون الكراهية؟

ـ على حساب شخص آخر؟

صمتها شجعه.. للذهاب بعيداً في تفسيره الخاص.

ـ كنت باحثة عن الذهب طوال الوقت.. مرتزقة.. متسترة وراء قصة حظ عاثر عن امرأة شابة مضغوطة مادياً، مخلصة لوالدها المريض، تراقب بحزن شبابها يمضي!

قالت ببؤس:

ـ كان هذا كله صحيحاً!

ـ وهل تتوقعين أن أصدق أي شيء بعد اكتشاف حقيقتك؟

ـ أعتقد أن محتويات قلادتي دليل مختلف؟

ـ صحيح جداً.. كان فيها الكثير من قطع الأحجية ولقد اكتشفت أنها على اختلافها تتناسب مع بعضها البعض.. وهناك شيء آخر عرفته لاحقاً وهو كلفة مخابرات الفاكس لرئيس تحريرك.

هذا صحيح.. لقد نسيت.. إذن هكذا اكتشف اسم ديريك وينترتون.. وأرادت أن تصيح: إنه ليس رئيس تحريري! لكنها سألت نفسها: ما الفائدة؟ لكن، هناك بصيص أمل...

ـ ألا يثبت لك هذا أنني لست الصحافية المحترفة التي تتوهمها؟

ـ لا.. بل مجرد صحافية مهملة!

ـ وهل تصدقني لو قلت لك إنني اتصلت بديريك وينترتون لأقول له أن لا يتوقع مني أية مقالات أو تقارير عنك؟ ولقد فعلت هذا بالرغم من معرفتي بأنني أخسر وظيفتي كصحافية قبل أن أبدأ.. وظيفة كنت أتشوق إليها منذ سنوات.

رد متصلباً:

ـ يا لها من قصة باكية! وهل لديك الرسالة؟ أو حتى نسخة منها؟

تذكرت أنها مزقت نسختها من الرسالة، كي لا تختلط مع أوراق ماكس كما حدث من قبل. والسماء وحدها تعرف ماذا فعل ديريك بالنسخة التي وصلته. هزت رأسها:

ـ أنا آسفة! ليس هناك سوى كلامي.

رد ماكس بابتسامة ساخرة ملتوية، وأحست بالسقم في داخلها.. فكلمتها لم تعد ذات قيمة عنده، على ما يبدو. لكن عليها أن تحاول مجدداً.

ـ تلك المخابرة منه..

ارتفع حاجبه بسخرية، وكأنه على استعداد لأن يستمع..

ـ... كان على الأرجح يتصل لمحاولة إقناعي بتغيير رأيي ومتابعة العمل له.

ـ على الأرجح.. هذه هي الكلمة المفتاح.. والأرجح أكثر أنه كان

يحاول الحصول على مقال ساخن منك لآخر نشرة له، من دون تأخير البريد الجوي.. أو حتى الفاكس!

بحزن، استدارت سالي مبتعدة وهي تتنهد: «بما أنك ترفض أي تفسير أحاول تقديمه..».

ـ أليست أعذاراً واهية؟

توسلت عيناها البنيتان لعينيه:

ـ أعرف أن دماغك مرن يا ماكس!.. لقد عانقتني البارحة بحب.

رد بقسوة:

ـ لا تخدعي نفسك فلم يكن سوى عناق. كنت أرى امرأة جميلة أمامي فماذا كنت سأفعل غير ذلك.

هذا كان آخر أمل لها.. ولو أنه ضعيف، ولقد تلاشى.. إنها لا تعني له شيئاً أبداً. وتذكرت بمرارة قوله: «ليس من الصعب على رجل أن يتظاهر بحب امرأة جذابة».

استدارت، ثائرة الآن للدفاع عن نفسها:

ـ سأخرج من حياتك ماكس.. أو يجب أن أقول سيد ماكنزي الآن؟

أشاحت عنه تسرع الخطى، لكنه أمسك كتفها بشكل مؤلم:

ـ إلى أين أنت ذاهبة؟

ـ وأين تظن؟ لأوضب ثيابي وأعود إلى بلادي!

ـ أوه.. لا.. آنسة ديرلوف.. بيننا عقد عمل لم ينته بعد يجب الاهتمام به. وكما قلت سابقاً، أنا أحب أن أنهي ما بدأت به.. لقد أعطيتني كلمتك.. مهما كانت تساوي.. بأن تحافظي على هذا الادعاء، بأننا حبيبان، وإلى الوقت الذي تنتفي فيه حاجتنا إلى مثل هذا الادعاء.

ـ لا فائدة.. أنا..

شد على شفتيه، بغضب كامل:

ـ أنت.. لقد خدعتني.. وهذا حسب مفاهيمي أمر لا يمكن غفرانه.. وأقل ما يمكنك فعله للتعويض عن فعلتك، هو أن توافقي على

المتابعة في هذه الخطوبة الزائفة، وإلى المدة التي تكون فيها ضرورية، بالنسبة لسمعتي ككاتب، وسمعة ناشري، ورأي قرائي.

وكيف أستطيع؟ سألت سالي نفسها بيأس.. كيف أستطيع متابعة الادعاء بأنني أحبه، وفي الحقيقة أنا أحبه.. مع ذلك أعرف كم أن رأيه بي وضيع، وأنه سيتخلص مني ما أن تنتهي حاجته إلي؟

قالت تحتج: «لكن.. نحن بين أشخاص لا يمكن خداعهم.. وفي الظروف هذه، لا أرى كيف يمكن...».

وأشارت إلى المنزل الذي يحوي عائلته.

ـ لا؟ سأريك كيف.

وقبل أن تأخذ نفساً شدتها ذراعه بقوة وألصقت رأسها إلى صدره. الأنين الذي تسرب من بين ضلوعها بدا وكأنه يغضبه أكثر، وخرجت منها شهقة بكاء مرتجفة.

قال بصوت أجش وهو يتركها:

ـ هكذا!

ولم يبدُ عليه أي تأثر بالدموع التي انسكبت على خديها.

أخرجت منديلاً من جيب بنطلونها، ومسحت به وجهها، ثم وضعته على فمها الباكي.

مد يده إليها:

ـ والآن.. سيري معي.

رفعت يدها ببطء تمسك بيده، وعادا معاً نحو المنزل.. ورأت سالي، وهي تنظر خلسة إليه، أن القناع المخيف الذي كان على وجهه تبدل وأصبح قناع حبيب مع حبيبته.. وكم حسدته على قدراته التمثيلية!

لكن، كان لا يزال في نفسها شيء من التمرد.

ـ إذا كنت تتوقع مني أن أفعل مثلك، وأتناسى ما حدث، فأنت إذن...

توقف، ليستدير إليها ويجمعها بحنان بين ذراعيه.. وهمس: «سالي..

ديرلوف.. عانقيني».

خضعت للسحر الذي لم تتمكن يوماً من مقاومته، ووجدت نفسها تقف على رؤوس أصابع قدميها وتمد ذراعيها لتلفهما على عنقه.

لثوان قليلة، وجدت سالي أن ساقيها يتحولان إلى سائل، لا تقاومان أبداً.

أبعدها عنه، ونظر إلى وجهها، ليرى التمرد فيه.. لكن هذا التمرد كان ممتزجاً باستسلام كذلك. وضحك بصوت منخفض:

ـ هكذا أفضل.

ودس ذراعه حول خصرها، ليسيرا معاً قرب البركة إلى المنزل.

تناهت إلى سمعهما أصوات غير مألوفة، مع صراخ طفل صغير.

تصلب ماكس، وأنزل ذراعه. ومرت تعابير وجهه بتغيير مخيف.. بدا جاداً وغاضباً وساخطاً في وقت واحد؛ وصعد السلم الصغير بخطوة واحدة، ودخل المنزل تاركاً سالي تلحق به.

بخوف ورهبة.. دخلت سالي غرفة الجلوس.

صاحت الطفلة الصغيرة وكأنها أعطيت لعبة: «ماكس.. ماكس!».

لكن ماكس كان يحدق بالمرأة الواقفة في الغرفة: جميلة نحيلة، وشاحبة، ترد عليه نظرته.. في تلك اللحظات القليلة، أحست سالي أكثر فأكثر أنها بعيدة عن حياته، أكثر مما ابتعدت عن حياة أمها ساعة تزوجت جيفري ويلنغ، وذهبت إلى شمالي إنكلترا لتعيش معه، تاركة ابنتها لوحدها لأول مرة في حياتها.

صاحت الصغيرة مجدداً: «ماكس.. ماكس!».

طفلة شقراء الشعر في حوالي الثالثة، ارتفعت عالياً بين ذراعيه القويتين.. وعانقت الفتاة عنقه بشدة، وتظاهر أنه يشهق ويحتج بأن ماري تكاد تخنقه.

لم تكن سالي قد شاهدته قبل الآن مرحاً هكذا، وممازحاً، وقد سمح للطفلة الصغيرة أن تشد شعره وتمرر أصابعها على وجهه وهي تنفجر ضاحكة

بين يديه.

كانت المرأة، هي التي تسببت بالقلق لسالي. حدسها قال لها إنها أم ماري.. وكانت الصغيرة جميلة مثل أمها. لا بد أنها فرانسيس أندرلي.. خطيبة ماكس السابقة.

أنزل ماكس ماري إلى الأرض:

ـ سالي.. هذه فرانسيس أندرلي.. فرانسيس.. هذه سارة ديرلوف.. خطيبتي.

نظرت سالي إليه... إنه يتابع الادعاء حتى أمام خطيبته السابقة؟ وهي ترسم ابتسامة ترد بها على انحناء رأس فرانسيس، خمنت سبب استمراره في الادعاء.. لا بد أنه أخبر فرانسيس مقدماً بزيف خطوبته، كي يتجنب أن تعرف عمته وجده الحقيقة.

قالت فرانسيس:

ـ تهنئتي لك آنسة ديرلوف. أم يجب أن أهنىء الرجل؟

وبدا لسالي أن فرانسيس تعرف السر حقاً.

ابتلعت سالي غصة الغيرة التي تجمعت في حلقها بألم، وحولت عينيها عن جاذبية المرأة التي لا يمكن الشك فيها، وابتسمت للفتاة الصغيرة. جثت أمامها:

ـ مرحباً.. إذن أنت ماري. أنا مسرورة لرؤيتك.

مدت يدها، فنظرت الصغيرة إليها مترددة.. ثم نظرت إلى أمها، التي كان وجهها متخشباً ثم إلى ماكس، الذي بدا أنه يشجعها، ووضعت يدها اليسرى في يد سالي.

مدت الصغيرة يدها تتلمس القرط المستدير المتدلي من أذن سالي:

ـ أحب قرط أمي.

غير أن قرط أمك مصنوع من الذهب، بينما قرطي مطلي بالذهب.

سألتها سالي مبتسمة: «حين تكبرين.. هل ستضعين قرطاً مثل أمك؟».

هزت ماري رأسها، ثم نظرت إلى أمها، وعادت إلى سالي لتقول:

ـ أنت جميلة.. مثل أمي.

ردت سالي: «شكراً لك ماري».

وفكرت: ولكن شعر أمك أشقر كالذهب بينما شعري أسود.. ويبدو لي، من الطريقة التي ينظر بها ماكس إليها، أن الرجل يفضل الشقراوات على سوداوات الشعر.

ابتسمت الصغيرة.. وكأنها عرفت بالغم الذي يتملك السيدة البنية الشعر، شدتها إلى الباب الخارجي.

قالت العمة موافقة: «هذا صحيح ماري.. خذي سالي إلى الحديقة».

ولحقت بهما.

أخذت الصغيرة تتراقص حول البركة، متجاهلة تحذيرات سالي مقتربة من الحافة. ولحق الجد بهم، وأمسك يد ماري يقودها إلى طاولة قرب البركة.

قالت العمة دبليا، تفضي لسالي بسّر:

ـ يجب أن أكون صادقة معك سالي.. السبب الرئيسي لمجيء ماكس إلى نيوزيلندة كان شخصياً، كان ينوي مزج العمل با.. كدت أقول بالمرح، لولا أن الأمور انقلبت عما كنا نتوقع.

أخفضت صوتها أكثر:

ـ لا زلت أجهل كيف التقيتما.. وهذا في الواقع ليس من شأني.

صمتت قليلاً تحاول إيجاد أكثر الكلمات لباقة.

ـ لكن، أترين.. لقد طلب منا تدبير هذا اللقاء مع فرانسيس، ليستطيع أن يحكم، أو هكذا افترضنا، ما إذا بالإمكان أن يمكن أن يعودا إلى بعضهما.. أوه.. عزيزتي.. أرى أنني صدمتك.. اجلسي، عزيزتي سالي.. لقد أصبحت بيضاء شاحبة..

جرت كرسياً وأصرت على أن تجلس سالي..

ـ لا تبتشي عزيزتي. فعلى ما انقلبت إليه الأمور لم يعد للقائهما أية قيمة

بعد الآن. يجب أن تصدقي هذا.. لقد اختارك أنت لتكوني زوجة المستقبل، وليس فرانسيس.. لقد قلت لك كم كان يتحدث عنك عبر الهاتف.. لكن، لم نستطع أن نقول لفرانسيس ألا تأتي الآن لأن ماكس وجد لنفسه خطيبة أخرى.. كنا مضطرين أن نترك هذا اللقاء بينهما يجري.

فكرت سالي باسى.. لا أحد يعلم الموقف الحقيقي بيني وبين ماكس! لا أحد يعلم أننا حين نعود إلى الوطن، سيذهب كل منا في طريقه.. هذا إذا عدنا معاً.. أليس من الممكن أن يبقى هنا، ويتابع مع فرانسيس من حيث توقفا؟ والطفلة، طفلة من هي؟ طفلتهما؟

لم تعرف سالي كيف انقضى ذلك اليوم.. في المساء، بدا أن ماري أحست باكتئابها الداخلي فجلست في حضنها وأخذت تحدثها بإصرار متواصل وأنت إليها بمجلات مصورة. كانت سالي تطري ماري وهي تتذكر الأسماء والأماكن.

ـ هذا جيد.. هذا عظيم.. أنت فتاة ذكية جداً.

كان الجد ينظر بحب إلى ماري، والعمة ديليا تبدو فخورة وكأن المديح وجه إليها شخصياً، بينما عينا ماكس كانتا مركزتين عليها. أما فرانسيس، فكانت باردة ممتقعة الوجه.

أخيراً، قالت فرانسيس: «هل هذا هو رأيك آنسة ديرلوف؟ كمعلمة، كما فهمت؟. حتى لو لم يقل أحد لي، كنت سأعرف.. إنه شيء مكتوب عليك.. لمسة الطبشور، كما يقال».

أكملت وهي تنظر بسرعة واستخفاف إلى ثياب سالي:

ـ المعلمات يحملن معهن شخصيتهن الاستبدادية المتسلطة قليلاً.. ألا توافق معي ماكس؟

احمرّ وجه سالي غضباً، فأنزلت ماري بلطف عن ركبتيها، لكن بحزم، ووقفت:

ـ المعذرة.. عمتي ديليا، جدي.. ماكس. لدي رسائل أريد أن أكتبها.. لأمي وأصدقائي..

ابتسمت لماري التي تمسكت بيدها.

ـ أريد أن أراك تكتبين سالي..

ـ ماري.. تعالي إلى هنا!

على مضض، وبشفتين مرتجفتين أطاعت الطفلة أمها.

لوقت طويل، وقفت سالي قرب نافذة غرفتها، تراقب النور المتلاشي، وتبحث عن طريقة لبقة تستطيع بها إبعاد نفسها عن عائلة ماكس. وقبل أي شيء، عن حياته.. ومع أنهم كانوا لطفاء مرحبين، إلا أنها تحس أن لا مكان لها بينهم الآن.

الآن وقد ظهرت فرانسيس، ها هي فرصتها لتغادر المسرح، وتأخذ حقيبتها والطريق الذي هجرته، وتنسى كل شيء عن الرجل الذي أحبته أكثر من أي شخص آخر في العالم.

اجتاحها إحساس بالحنين إلى وطنها، فأغمضت عينيها، تتصور وجه أمها.. لقد اعتنت بأمها خلال الفترة العصيبة بعد موت أبيها.. أخيراً ومع ظهور جيف ويلنغ في حياتهما عاد الابتسام إلى وجه أمها.

عليها أن تخبر أمها بالحقيقة، تصحح لها ظنها في العلاقة مع ماكس ماكنزي.. توقفت وهي تمسك السماعة.. هل هناك حاجة حقيقية لأن تواجه أمها بالوقائع التعيسة، وأن تنتزع الابتسامة عن وجهها، في حين لزمها سنوات كثيرة لتعيدها إليه؟ ولو فعلت، ألن يكون هذا فقط لأسبابها الأنانية، كي تنقل ألم قلبها إلى كتفي أمها، لمجرد أن تريح نفسها من بؤسها؟

أتى صوت ماكس ساخراً من الباب: «إذن.. لديك رسائل تكتبينها».

أعادت السماعة واستدارت: «كنت سأتصل بأمي».

تقدم ماكس، والشر يتطاير من خطواته.

ـ تعنين الستار وجورنال، وخاصة رئيس التحرير، ديريك وينترتون؟ لتمرري له آخر الأخبار عن ماكسيميليان ماكنزي، وعودة خطيبته السابقة إلى حياته؟

ـ سبق وقلت لك ان هذا كله أصبح وراء ظهري. لقد أعلمت السيد

وينترتون بأنني انسحبت من ذلك المشروع...

ـ ألا تريدين أن تحافظي على العقد الموقع بينكما؟

ـ ليس هناك عقد أحافظ عليه.

ـ أتعنين أن اتفاقكما كان كلامياً فقط؟

هزت سالي كتفيها، وأحست كأنهما مثقلتان بالرصاص.. اتهاماته ترهقها أكثر من الكلام.

ـ ربما.

ـ ومن ذا الذي حلم بمثل هذا المشروع؟ ديريك وينترتون؟

كانت سالي واثقة أن هناك نية متنامية لدى ماكس لمقاضاة ستار وجورنال ورئيس تحريرها وهي خائفة من العواقب. قررت أن الطريق الوحيد المتبقي لها، هو أن تقول له الحقيقة، بغض النظر عن التأثير الذي قد يكون لهذه الحقيقة على رأيه الوضيع فيها.

رفعت رأسها عالياً، تحضر نفسها لأي ردة فعل منه:

ـ أنا.

ـ قبل أن تلتقي بي أم بعده؟

بللت سالي شفتيها، وردت على نظرته الغاضبة:

ـ قبل لقائنا.. كان ذلك حين تقدمت بطلب للعمل في الصحيفة. و..

أخذت نفساً عميقاً في وجه غضبه الذي لا يحتمل.

ـ وفيما بعد، حين اتصلت بديريك وينترتون من المطار لأقول إنني التقيتك صدفة، وتوسلت إليه أن أحصل على الوظيفة.. وعلى متابعة قصة ماكنزي؟

ـ أنت تقولين الصدق الآن.. أليس كذلك؟ وهل أعطاك المهمة؟

ـ لم يلزم نفسه.. لكنه قال إنني لو أعطيته المعلومات التي يريد، حين أعود إلى الوطن، سيجد لي عملاً في صحيفته.

أخرج ماكس لعنة ملتوية متفجرة:

ـ إذن.. الواشية الصغيرة صدقت أخيراً!

ـ ماكس.. كان هذا كله قبل أن أعرفك جيداً. وقبل أن أتورط معك..

ـ وبعد أن عرفتني.. أصبحت متورطة. أعني.. هل تحاولين القول انك لم ترسلي المزيد من المقالات عني؟

ـ لا، ماكس.. أنا...

نظرت بعيداً، أوه.. يا للسماء.. الأدلة ضدها تتراكم.

ـ ... بلى.. فعلت.. لكن كما رأيت من التقرير الذي وجدته.. كانت كلها مليئة بالمديح لك.

رد ببرود: «هذا لا يغيّر في الأمر شيئاً.. لقد أرسلت مقالة عني إلى صحيفة.. ولأجل هذا تستحقين.. يا إلهي.. ما هو الذي لا تستحقينه؟».

وبرز فكه إلى الأمام وأخذ ينظر إليها نظرة تكاد تقسم أنها تركت خدوشاً على بشرتها.

أجفلت سالي تحت وخز غضبه.. وتساءلت ببؤس: «هل حقاً يكرهها إلى هذا الحد؟» استدارت عنه، لكنه مد يده وأدارها إليه.

ـ أعتقد أنه طلب معرفة كل التفاصيل الحميمة.. ماذا أستعمل بعد الحلاقة.. وهل أحب نسائي خاضعات، أم متوحشات.. وكيف أغازل؟

أغمضت عينيها، تجبر نفسها على تحمّل الألم.

هزها بعنف قائلاً:

ـ أرى أنني أصبت الهدف.. وكنت الآن على وشك أن تتصلي به لتبلغيه كل التفاصيل المثيرة الخسيسة التي يريدها؟

فتحت عينيها بقوة:

ـ كلا.. كنت سأتصل بأمي..

ـ إذن لماذا كدت تقفزين من جلدك وتوقعين الهاتف أرضاً وكأنه قطعة بطاطس ساخنة حين ضبطتك؟

لأنني كنت أحس بالذنب.. أعرف أنني في الماضي لم أكن أتصرف

صادقة نحوك.. لكنني حاولت تصحيح الأمور برسالتي إلى ديريك عبر الفاكس، ولو أنك لا تصدق مثل هذا الأمر.

واستمرت بالتفكير، بإلحاح ستيوارت مليديج الكاذب، إضافة إلى اعترافها بالخداع. ومع أنها تخلت عن دور المراسلة حين كانت في أوكلاند، إلا أنها تشعر بالرهبة في الداخل، وتحب ماكس أكثر.

كل ما استطاعت أن تقوله وهي تهز كتفيها:

ـ أعتقد.. أن أعصابي.. متوترة.

رد بتشفٍّ: «هل اكتشفت أن دور الجاسوسة لا يلائم طبيعتك؟».

أجفلت متألمة لصراحته القاسية، واستطاعت أن تقول بشجاعة:

ـ من الأفضل أن تجد لنفسك مساعدة أخرى، فضلاً عن خطيبة مزعومة. أقول لك إنني تخليت عن قصة ماكنزي.. لقد اخترت الخروج من حياة ماكس ماكنزي. قررت أن لا أتابع رحلاتي، والعودة إلى وطني...

مدت الخاتم إليه، وراقبته بقلب مفعم بالأسى وهو يستعيده، ويدسُّه في جيبه.

قال باختصار: «الجولة ملغاة.. وسأعود إلى مقري».

ـ لكن لماذا؟ لا داعي لأن تخيب أمل قراءك.

ـ لقد ألغيت ما تبقى من برنامجي هنا.

صاحت، متحسرة في داخلها:

ـ إذن.. صحيح أنك ستعود للآنسة أندرلي، كما ظنت عمتك؟ وطوال الوقت.. كنت تستخدمني غطاء لإخفاء نواياك الحقيقية عن الصحافة.. ليس هذا فقط، وإنما استخدمت خطوبتنا الزائفة لتجعل خطيبتك السابقة تغار.. لتعود إليك...

أمسك ذراعيها وشدها إليه، تكاد عيناه تحرقانها:

ـ اقفلي هذا الفم الجميل آنسة ديرلوف.. قبل أن تتسببي لنفسك بضرر كبير!

دفعها بعيداً عنه.. ونفض يديه كأنهما اتسختا. ثم قال ببرود: «مع

الصباح، سأكون وضعت خططاً جديدة».

مرة أخرى نظر إليها من الرأس إلى القدم..

ـ وستكونين من ضمنها.. فأنا لم أنته منك بعد.. نامي جيداً آنسة ديرلوف، إذا سمح لك ضميرك!

***

www.elromancia.com

٩ ـ عودة الزوجة السابقة

لم يكن ضمير سالي هو الذي منعها من النوم، بل رفض ماكس التصديق بأنها لم تعد تلعب دور الصحافية. هي متيقنة من أنها تستطيع كتابة رسالة جيدة، وتأليف مقالات لصحيفة المعلمين، وبعض المجلات النسائية، بين حين وآخر.. كما تستطيع تعليم الناس القراءة والكتابة، وهذا ما تدربت عليه.. لكن.. لكن تمثيل دور صحافية، التفكير مثلها، والكتابة؟ أبداً!

تلوت وتقلبت مجدداً في فراشها.. تتوق لبزوغ الصباح، غير أن الوقت كان يمر ببطء ثقيل وبالكاد بلغت منتصف الليل.

استمرت دوامة أفكارها.. لو أن ماكس يصدقها.. لو أنها احتفظت بنسخة من تلك الرسالة التي أرسلتها لديرك.. رمت الأغطية عنها، ودفعت قدمها في الخف، ولفت الروب حول جسمها.

طقطقت ألواح خشب الأرضية وهي تتسلل إلى غرفة ماكس.. ما تريد قوله له قد يعيد ثقته بها. وهو يستحق المحاولة.. أليس كذلك؟ لكن، حتى وهي تقرع بابه، تمنت لو انتظرت حتى الصباح.. فما أن انفتح الباب، حتى تساءلت عما إذا كانت فرانسيس هناك...

ـ ماذا تريدين؟

هل يمكن أن تكون لهجته أقل ترحيباً؟ ليس هذا فقط، بل أبقاها واقفة هناك.. هل هذا يعني أنه لم يعد يحتمل وجودها قربه؟ أم هناك سبب آخر،

أكثر احتمالاً.. وجود شخص يريد إخفاءه؟

ـ أرجوك.. أنا.. لا أستطيع التأجيل.

صمت، وسعت يداه إلى جيبي روبه الأسود.. مظهره غير الحليق في الضوء الخافت، جعله غامضاً، شريراً، قاتماً.

اشتاقت أن تمد يدها لتمرر أصابعها على خديه، تلاحق طيات فكه، تلمس العبوس بين عينيه. أخيراً قالت، آخذة صمته كموافقة:

ـ عندما نعود.. سأتمكن من الإثبات لك أنني كتبت لديرك وينترتون وقلت له بأنني لن أكتب القصة.. ليس هذا فقط، بل لن يحصل مني على أي مقالة عنك أبداً..

حين لم يغادر الارتياب عينيه، أكملت: «أقسم بشرفي أن هذا ما فعلته.. وأنني أقول الحقيقة».

ـ إذن.. أنت تدعين أنك ستتمكنين من تقديم دليل بعد عودتنا؟

ـ هذا حقي ماكس.

بدا أنه يلين، ورفع ذقنها:

ـ أقبل ما قلته، من هذه اللحظة، وإلى أن تضعي الدليل أمامي، سأعلق تكذيبي لك. وأوافق على هدنة.. سوف نوقع عليها هكذا.

ذهب إلى الدرج وعاد بالخاتم، ليعيده بأمان إلى أصبعها:

ـ وهكذا.

وشدها إلى ذراعيه، يتمتم بغضب: «ما الذي فيك يجعلني لا أستطيع..».

أحست بانفجار شوق في داخلها وبكل المشاعر التي دفعتها، رغم كل شيء، للسعي إلى ثقته بها مجدداً.

وتمتم في أذنها: «أعرف بماذا تشعرين، لكن لا أريد أن أكون قاسياً عليك وظالماً».

أبعدها عنه برفق: «اذهبي إلى النوم الآن سالي..»

كانت لهجته حاسمة، لكن عينيه كانتا متوهجتان بشكل غريب

غامض.

في الصباح التالي، استقبلتها ماري بصياح الابتهاج عند أسفل السلم، وأمسكت يد سالي:

ـ خذيني إلى البركة.. جدي يقول: لا يجب أن أذهب إلى هناك دون مرافقة.

انحنت سالي: «مرحباً ماري.. يعجبني القوس الكبير على رأسك. إنه يتناسب مع فستانك الأزرق».

وصل صوت ماكس من خلف باب غرفة الجلوس المغلق.

«فكري بالأمر فرانسيس.. لا بد من وجود قرار.. ومن أجل ماري، لا يمكنك الاستمرار هكذا.. لن يكون الأمر سهلاً، وتعرفين هذا كما أعرفه.. لكن يجب إيجاد طريقة لمواجهة الصعاب».

وقفت سالي مستقيمة، وقد علقت أنفاسها بوخز الحقيقة الحادة كالسكين.. كلامه لا يمكن أن يعني سوى شيء واحد.. إنه يقنعها بأخذ الخطوة الحاسمة والعودة إليه.

إذن هذا هو ألم القلب!.. هذا هو طعم التخلي الكامل! صحيح أن كل شيء في خطوبتهما كان زائفاً، إنما لا شيء زائفاً في هذا الإحساس الرهيب الذي أمسك بخناقها.

ماكس يريد فرانسيس أن تعود إلى حياته.. لذلك أبعدها عنه ليلة أمس، هي سالي ديرلوف. كيف يمكن أن تكون بكل هذا الغباء، وتفضح مشاعرها نحوه؟!

كانت ماري تراقبها، مقطبة قلقة: «سالي؟ خذيني إلى الخارج أرجوك!».

كانت فرانسيس ترد ببطء: «لست أدري.. هناك أشياء يجب أن أفكر بها، وأحتاج إلى الوقت ماكس..».

ساد صمت قصير، شدت ماري خلاله بيد سالي. وكانت سالي تعرف أنها لا يجب أن تسترق السمع، لكن شيئاً تغلب على تعقلها، وأبقاها

مكانها. بدا ماكس مستسلماً:

ـ إذن.. سآخذ ماري على الأقل.

فكرت سالي: أجل، فماري هي الرباط.. بوليصة التأمين للتأكد من أن أمها ستلحق بها في النهاية، وتنضم إلى ماكس.. إلى «ابنتهما»؟

تقدمت العمة نحوهما:

ـ ها أنتما.. هل وجدت مرافقاً أيتها السيدة الصغيرة بينما أحضر أنا والجد الفطور؟

نظرت بقلق إلى غرفة الجلوس، وغيرت نظرتها إلى ابتسامة:

ـ هل نمت جيداً سالي؟

تدخلت ماري، مريحة سالي من عناء الرد: «أنا نمت جيداً».

انفتح باب غرفة الجلوس، فصاحت ماري بلهفة.

ـ ماكس! خذني إلى البركة.. سالي مشغولة بالكلام.

ابتسم ماكس للفتاة الصغيرة المتلهفة، ثم تبادل نظرة مع عمته.. فقالت العمة ديليا مع ظهور الجد:

ـ جدك سيأخذك عزيزتي.

ومد الجد يده يأخذ يد ماري، فذهبت معه راغبة مثرثرة.

ـ سالي.. أريد كلمة معك.

كان ماكس جاداً بحيث لم تجد طريقة للرفض، فلحقت به، كما كان يعرف أنها ستفعل.

تجاوز غرفة الجلوس المغلقة واتجه إلى غرفة الأطفال. كانت اللعب منتشرة في كل مكان.. جلست سالي وهي تضع دمية كبيرة على ركبتيها، وسمح ماكس لنفسه بابتسامة صغيرة، وردت الابتسام، فقال معلقاً:

ـ هذه بيئتك الطبيعية؟ أعتقد أنك كمعلمة معتادة على هذا النوع من البيئة!

أشارت بيدها إلى ارتفاع محدد: «تلاميذي أكبر بقليل».

ـ وألعابهم معقدة أكثر؟

- نوعاً ما.
- إذن أنت تعلّمين..
- تصحيح.. كنت أعلّم.

اسودت عيناه، فوبخت سالي نفسها لتذكيره بتغيير نوع عملها، ما قد يشير إلى أنها لا تزال تتابعه، بالرغم من إنكارها المتكرر.

- إذن لقد علّمت مجموعة أكبر سناً.

هزت رأسها:

- بكل اهتماماتهم وميولهم.. إضافة إلى معالجة مشكلاتهم النفسية.
- لكنهم أحبوك، وبسبب هذا أصغوا إليك وتعلموا؟

احمر وجهها، مسرورة بالمديح الذي انطوى عليه كلامه.. نظر إليها طويلاً، ليعلق أخيراً:

- يبدو أنني لا أعرف سوى القليل عنك.

همست:

- و.. أنا كذلك أعرف القليل عنك.

لكن، فرانسيس موجودة الآن، وهو يريدها! أولم تسمعهما يناقشان أمر المستقبل.. مستقبلهما معاً؟!

سار ماكس حول الغرفة، يتلمس طريقه بحذر بين السيارات الصغيرة والأفلام الملونة والدمى التي تحدق متسعة العينين بالسقف، وكلها جاهزة من أجل ماري الحفيدة المحبوبة وابنة ابن الأخ العزيز.

قال باختصار: «أريدك أن تعودي معي».

قفز قلبها من مكانه، ثم سكن. هذه المرة، ما من شك أن فرانسيس ستحتل المقعد إلى جانبه.. لا تخادعي نفسك وتظني بأنه يريد صحبتك! أضاف:

- هناك شيء آخر.. أريدك أن تتولي مسؤولية ماري في الرحلة إلى الوطن.
- ألن تسافر أمها معها؟

- لفرانسيس بعض الأمور الخاصة تشغلها.. لذا سنؤخر سفرها، ولقد وعدت بأن آخذ ماري معي لأساعدها في هذه الظروف الصعبة.

هل توكل فرانسيس أمر العناية بطفلتها إلى ماكس؟ هذا بالتأكيد يثبت أن ماكس هو والد ماري!

أكمل: «هل تصنعين هذا المعروف معي؟».

وقف أمامها، ساقاه كعمودين قويين، يعلوهما خصر لا أثر فيه للسمنة...

حذرت نفسها: قولي لا.. وخرجت كلمة «نعم» من فمها أخفض من الهمس، فقال ماكس ببساطة وعلى الفور: «شكراً».

كانت عيناه تحملان العرفان بالجميل.. وشيئاً آخر؟ أخرجت نفسها من المقعد الصغير، ورمت الدمية من حجرها إلى الأرض.. وكان يشدها إليه، حين انفتح الباب وسارعت ماري بالدخول صائحة والجد يتظاهر باللحاق بها.

بعد ثلاثة أيام، غادروا المنزل.. وقامت فرانسيس بوضع ابنتها تحت رعاية سالي، مع تعليمات تفصيلية لروتين حياتها والنظام الغذائي الذي تحتاج إليه.

فكرت سالي بذهول: وكأنني مربية مستأجرة لماري!

أضافت فرانسيس بغطرسة توصي ماكس:

- أريدك أن تبلغ أمي كل هذه المعلومات.

وكشرت سالي في سرها غاضبة من ماكس، ثم أدركت أنه لن يقدر لها مزاحها لأنه يحب المرأة.. أليس كذلك؟ لدهشتها، ابتسم ماكس.. وأكد للسيدة أن ابنتها بين أيد أمينة، ولا ينبغي أن تخاف على ابنتها، لأنها قادرة بالرغم من صغر سنها أن تبلغ دون تردد «أبويها» المؤقتين بكل حاجاتها.

ضمت العمة ديليا سالي ضمة أخيرة، وفي حضور فرانسيس، كررت بصوت مرتفع كم أنها والجد مبتهجان لاختيار ماكس زوجته المستقبلية.

استدارت فرانسيس بعجرفة وأخذت ذراع ماكس، ترفع وجهها له

ليقبلها قبلة الوداع. . وخرجت سالي إلى السيارة، وهي تجد منظر ماكس مع المرأة مؤلماً بشكل لا يطاق.

وجدت سالي أن الرحلة إلى الوطن كانت متعبة وطويلة. لم يتكلم ماكس إلا قليلاً، وكان معه ما يكفي من كتب ومجلات. قرأها بتركيز عميق، يلقي بملاحظات بين الحين والآخر، كما يحاول المساعدة في تهدئة الفتاة الصغيرة المتململة.

أمضت سالي الرحلة، في احتضان وتهدئة، حتى أنها كانت أحياناً تلاحق ماري المتمردة بين مقاعد الطائرة لتعيدها إلى حضنها وتخترع لها قصة بعد قصة.

لاحظت سالي ذات مرة أن ماكس كان يستمع إليها، فاحمر وجهها ونظرت إليه استنكاراً، فرد على نظرتها بالابتسام. قال مرة:

ـ لو أخذت كومة من قصص «أليس في بلاد العجائب» وأخفضت من حجمي عدة مرات، فهل تضعينني على ركبتك وتقصّين عليّ قصة؟

همست بغضب مزعوم: «ماذا؟ كي تسرقها مني وتستخدمها في كتبك؟».

ضحك عالياً، ورأسه إلى الوراء، وأحست سالي بارتعاش السعادة يسري في جسمها لأنها تمكنت من انتزاع ضحكته وسط مزاجه الجاد المثبط للهمة.

قال لها وهم يغادرون المطار، إنهم سيذهبون أولاً إلى منزله في «سوراي» حيث سيمضون الليل. . وأضاف:

ـ غداً، سآخذ ماري إلى أم فرانسيس. . فقد وافقت على العناية بحفيدتها.

حدثت سالي نفسها بأنها ستكون حرة عندئذ، فتخرج من حياته تاركة وراءها كل ما يتعلق بدورها كخطيبة مزعومة للكاتب الكبير.

فيما كانوا متوجهين نحو الطائرة، قالت ماري وهي ترتجف:

ـ لماذا الطقس هنا بارد جداً؟

سألتها سالي، التي كانت تحملها بينما كان ماكس يتعامل مع الحقائب.

ـ ألم تأت إلى القسم الشمالي من العالم من قبل؟

ـ لقد ولدت هنا. . ثم أخذت إلى الجنوب. .

وعادت للزيارة مع فرانسيس. . لكنها كانت صغيرة جداً لتلاحظ اختلاف الفصول والحرارة.

إنه يعرف ماضي الصغيرة جيداً، فضلاً عن تاريخ أمها. . وحاولت سالي أن تكون موضوعية: من المؤكد أن علاقته بماري هي أكثر من مجرد خطيب سابق لأمها.

الأقارب والأصدقاء الذين كانوا يستقبلون القادمين لوحوا وابتسموا. سألت ماري وهي آمنة بين ذراعي سالي:

ـ أليس هناك أحد يلوّح لنا؟

ثم صاحت بحدة: «بلى. . هناك!».

قال ماكس بحدة: «أين؟».

جعلت سلسلة أضواء لامعة ماري تدير وجهها إلى شعر سالي، وقال ماكس بخشونة:

ـ يا إلهي! مجموعة الجرذان!

اتجه إلى فسحة بين الجمع، لكن المراسلين لحقوا به. قال أحدهم:

ـ هنا. . سيد ماكنزي. أوه. . هيا أعطنا فرصة!

وقالت مراسلة: «نحن نقوم بعملنا. . أعطنا تلميحاً على الأقل».

بخوف شديد تشبثت ماري بعنف بسالي. . وقال رجل:

ـ أوليست جميلة؟ إنها صورة عنك!

وهذه كذبة. . لا يوجد أي شبه!

ـ أنت واحدة منا آنسة دبرلوف، لا يمكنك الإنكار. . كلنا نعرف صلتك بستار وجورنال. .

تعالى صوت المذياع العام ببعض الرسائل، وضاع صوت المراسل. . رجع ماكس اليهما وقد بدا وجهه مظلماً مخيفاً.

ـ كم عمر الصغيرة سيدي؟ ثلاث سنوات ونصف؟ إذن فالعلاقة..

ردت سالي: «هذا شأننا».

ثم استدارت إلى ماكس:

ـ أنا لست واحدة منهم ماكس، صدقاً.. قلت لك إنني قطعت كل اتصالاتي..

تجاهل ماكس إنكارها..

توسل المصور: «صورة سيد ماكنزي.. ما رأيك بصورة عائلية؟».

قالت إحدى الصحافيات:

ـ الطفلة ليست لها.. إنها له ولخطيبته السابقة.. لقد قابلت ديرك وبنترتون وأراني قصاصات الصحف التي يحتفظ بها لكل المقالات التي أرسلتها عنه.

وأشارت إلى سالي.

ـ أية مقالات؟ أية قصاصات؟ ومن تقصدين بقولك «عنه»؟

كانت ماري تنتحب على عنق سالي ولم يرد أحد على أسئلتها.

حث المصور سالي أن تقف إلى جانب ماكس وهي تحمل ماري. ولمع ضوء الكاميرات مجدداً.. ثم تراجع الصحافيون، يراقبون انسحاب ماكس وسالي.

كان الوقت لا يزال مبكراً في الصباح.. سالي، دائخة من السفر الطويل.. مثقلة العينين لأنها لم تنم كثيراً، ومتعبة حتى العظام.. وجلست ماري إلى جانب ماكس في التاكسي تحدق متعبة.

لم يتكلم أحد منهم.. فالتعب جعل الكلام صعباً.. خلا تعليقات عابرة.

قالت سالي تقطع صمت ماكس وأفكارها:

ـ ماكس؟

كان هادئاً جداً، واستنتجت أنه لا بد يفكر بكتابه... أم أنه مكتئب؟ هل هو مكتئب لأجل فرانسيس؟.. أم لأنه لا زال يحمل عبء سالي

ديرلوف، التي لا يعرف كيف يتركها؟

رد من غير أن يحول نظره عن الشارع:

ـ نعم؟

ـ متى سأعيد لك خاتمك؟

صمت متوتر.. ثم: «ولماذا السؤال؟ ألا تستطيعين الانتظار لتعودي إلى صديقك غير مثقلة بأية علاقة معي؟».

قطبت سالي: «صديقي؟ أوه.. هل تعني جيرالد؟ إنه.. لو كان مهماً لي، بالتأكيد ما كنت لأسمح لك..».

ـ حسن جداً.. فهمت ما تعنين. جوابي هو: حين أريد الخاتم، سأقول لك.

وبهذا يجب أن تكون راضية..

سألت ماري: «هل هذه نيوزيلندة؟».

لم تضحك سالي، فهي تشعر بالارتباك مثل الصغيرة. وردت بلطف: «لا حبيبتي.. إنها انكلترا».

ـ هل سنذهب إلى منزل العمة ديليا وجدي؟

استدار ماكس مبتسماً، فأجابت سالي مجدداً.

ـ لا ماري.. غداً ستذهبين إلى جدتك.. لكننا اليوم سنذهب إلى منزل ماكس.

ـ وهل ستكون العمة ديليا هناك.. وهل.. ستكون أمي هناك؟

تولى ماكس الرد على السؤال.

ـ لا ماري.. ليس أمك.. بل سيدة تدعى إيلين.. إيلين فارمر، ترعاني وترعى منزلي.

لاذت ماري بالصمت، تنظر إلى السطوح والغيوم، وهذا كل ما تستطيع رؤيته من مقعدها.. ثم انحنى ماكس ليعطي السائق التعليمات للوصول إلى منزله.

دخل التاكسي في طريق فرعية تنحني لتكشف عن مسكن من طابقين

يرتفع بفخامة.. ونظرت سالي إليه بإعجاب، تلفه مرجات خضراء، وأشجار عريضة الأوراق. كان مبنياً من آجرّ أحمر، نوافذه الكثيرة تعكس أشعة الشمس، ومن سقفه الرمادي الألواح تبرز نافذتان بين مدخنتين مرتفعتين، كأنهما تطلبان الدفء.

تحركت ماري مع توقف التاكسي، ورفعها ماكس لينزلها، مقدماً يده إلى سالي لتخرج..

هل صحيح حقاً أنها لم تعرف هذا الرجل إلا من خلال كتبه والتقارير الصحفية عنه، قبل لقائهما صدفة في مطار هيثرو؟ في أعماقها كانت لا تزال تشعر بالارتباك للتغيير الذي استولى على حياتها منذ تلك اللحظة.

قدمت إيلين ترحيباً حاراً. وأخذت يد سالي بعد أن حيت مخدومها، ثم أعلنت بحرارة:

ـ أنا مسرورة جداً بلقاء خطيبة السيد ماكنزي.. آنسة ديرلوف.. الصحف كانت تقول هذا!

سأل ماكس مقطباً: «تقول ماذا؟».

أشارت إيلين بيدها:

ـ أوه.. تقول كم تحبان بعضكما.. و.. حسن جداً.. أنت تعرف.. أشياء كهذه. أوه يا لها من فتاة صغيرة محبوبة!

وعانقت الصغيرة لتكمل: «كان هناك الكثير من المخابرات لك سيد ماكنزي».

وحملت بعض الحقائب: «خاصة من نادي المعجبين.. سآخذ هذه إلى فوق، ثم سأصنع لكما فنجان شاي لذيذ. موافق سيد ماكنزي؟»

رفعت ماري رأسها: «أنا ماري».

ـ حقاً حبيبتي؟ إذن سأناديك ماري.. هناك غرفة جميلة محضرة لك عزيزتي، إلى جانب غرفة الآنسة ديرلوف، حسب تعليمات السيد ماكنزي حين أتصل بي في وقت سابق.

ناداها ماكس: «أين البريد؟».

ـ في غرفة عملك سيد ماكنزي.. هناك الكثير من الرسائل! لو كنت مكانك لتركتها الآن.. أراهن أن ما من أحد منكم نام جيداً.

ردت سالي متثائبة: «أنت على حق إيلين.. خاصة الصغيرة ماري».

ابتسمت إيلين: «هذه غرفتك آنسة ديرلوف.. أرجو أن تعجبك».

وتقدمت إلى الباب المجاور.

ـ وهنا ستنام ماري.. هل تعجبك عزيزتي؟ إنها بلون زهري، وكشاكش أنيقة.. أليس كذلك؟

هزت ماري رأسها وتثاءبت، وبدأت إيلين تعتني بها. فتحت حقيبتها الصغيرة تقول:

ـ سأخرج كل ثيابك.. اذهبي أنت إلى الحمام لتغتسلي آنسة ديرلوف.

ـ لكن سيد ماكنزي..

ـ سأهتم به.

وابتسمت متفهمة أفكارها الرومانسية: «لا تقلقي.. هل آتيك بالشاي إلى هنا.. أم..؟».

ـ أنا متعبة جداً.. ولا أظن أنني أستطيع البقاء مستيقظة لأشربه!

* * *

١٠ ـ البحث عن دليل

وجدت سالي ماكس في غرفة عمله، بعد أن اتبعت تعليمات إيلين، وكان في مزاج غاضب.

وقف أدباً، لكن دون ابتسام ودعاها للجلوس، فاختارت مكاناً على أريكة وسط الغرفة. وكان هناك عدة طاولات صغيرة تحمل المصابيح، الملفات، والمراجع وكومة رسائل.

نظرت سالي حولها، فأعجبتها الغرفة وأحست أنها تستطيع العمل فيها براحة. وقف ماكس غير قابل للتواصل، بشكل غريب، يداه في جيبيه قرب أبواب الشرفة الزجاجية، ينظر إلى الخارج.

إنها تحبه بيأس.. ولن يعرف أبداً كم تحبه. سألت:

ـ هل نمت جيداً ماكس؟

كانت تقول أول شيء خطر بذهنها لتثير رداً، أي نوع من الرد.

ـ استرحت لساعة أو ساعتين.. وهذا يكفي.

تكلم بحدة، وتساءلت سالي مقطبة عما يزعجه.. فهذا أمر واضح.

قالت تحاول مرة أخرى كسر الصمت المزعج:

ـ هل بدأت بكومة الرسائل الكبيرة؟

ـ البعض منها.

لهجته كانت باترة بشكل غير عادي، وغاص قلب سالي.. هل عادا إلى العدوانية السابقة وعدم الثقة؟ وكأنما لم يعد قادراً على احتواء غضبه،

استدار ماكس يواجهها بذراعين مطويتين، وساقين منفرجتين بعدوانية. علامات العبوس بين عينيه، كانت مخيفة.. ولم تشعر سالي أبداً بالجرأة في تلك اللحظة. قال بحدة:

ـ إلى أية مقالات كانت تلك المراسلة تشير؟

إذن هذا ما كان يتآكله في رحلة التاكسي من المطار! ردت:

ـ لو قلت لك إنني لا أعرف.. فهل ستصدقني؟ على أي حال.. أنا بحيرة مثلك. ولا أستطيع سوى تكرار ما قلته لك مرات ومرات: بعد إرسالي مقالتين، وهما ليستا أكثر من موضوع إنشاء مدرسي، أبلغت ديريك وينترتون بقراري الانسحاب من اتفاقنا الشفهي و..

ابتعد عنها مدققاً في كلامها، وعاد إلى منضدته مرة أخرى.

ـ لقد أصبحت كلماتك رتيبة، في كل مرة يقول فيها أحد الحقيقة عنك، تنكرين..

صاحت: «هذا غير صحيح! أنا التي أقول الحقيقة. صدق أو لا تصدق، وكما أرى الأمر فأني أواجه مؤامرة من الصحافة. لسبب من الأسباب، ربما لأنك معروف جداً، فإنهم يتضامنون ضدي ويتحاملون عليّ، أنا الدخيلة التي لا خبرة لها المهنة...».

ـ كل هذا معقول.. لو كنت ساذجاً بما يكفي لأتقبل كلامك.. المشكلة أن تلك التلميحات حولك تكررت كثيراً.. وفي جهات مختلفة من العالم.. وأنا أجد من الصعب أن أصدقك.

صاحت: «حسن جداً.. أنت تقول بطريقة ملتوية أن ابتعادي عنك هو من الأولويات.. لذا سأوفر عليك العناء، وهذه هي النهاية، أليس كذلك؟».

ولم تستطع إخفاء تحشرج صوتها: «يجب أن يكون الأمر هكذا.. لا يمكنني الاستمرار.. ولتساعدني السماء.. أنا.. أنا..».

وكانت على وشك أن تقول: أحبك.. لكنها هزت رأسها، وشدت شفتيها لتوقف ارتجافهما، واتجهت إلى الباب. وهي تصل إليه، انفتح وأطل

رأس ماري:

ـ هل ستذهب إلى منزل جدتي، الآن؟

ردت سالي: «في الغد حبيبتي.. هل أنت جائعة؟ أنا جائعة. دعينا نذهب لنرى إذا كانت إيلين قد طهت لنا شيئاً في المطبخ».

وكانت هذه فرصة مثالية للخلاص من وجود ماكس الخشن غير المتسامح. قال ببرود:

ـ إنها تحضر وجبة خفيفة.. ولست أدري ماذا تقصدين بقولك «هذه هي النهاية»، لكنني آمل أن تبقي على الأقل إلى أن نأخذ ماري إلى والدة فرانسيس؟

شيء ما جعلها تنظر إلى الأسفل. كانت ماري ترفع رأسها إليها بلهفة، وأدركت أن الصغيرة أحست أن الأمور ليست على ما يرام بينهما.. إذن، حتى الغد، ولأجل ماري، ستلعب دورها لتحافظ على المظاهر بينها وبين ماكس. ردت:

ـ سأحافظ على وعدي.

وتمكنت من الابتسام، فارتسمت على وجه ماكس ابتسامة مشابهة.

في وقت سابق، كانت سالي قد اتصلت بوالدتها، لتقول لها إنها عادت، وتقيم في منزل ماكس. وصاحت إدي بفرح:

ـ وهذا ما يجب أن يكون. متى سنلتقيه أنا وجيف عزيزتي؟ اجعلي هذا قريباً.. الآن يجب أن ترتاحي! نامي لترتاحي من سفرك.. حين تتخلصين من دوار السفر، اتصلي مرة أخرى، لنتحدث عن تدبير موعد للقاء.. أنت لا تعرفين كم نحن متشوقان للقاء صهرنا الجديد.

لكن سالي لم تستطع أن تنام، فقد كانت قلقة تفكر كيف تقنع أمها بأن تتقبل الحقيقة. كما أن ساعتها الجسدية، كانت تقول لها أن الساعة في يدها لا بد مخطئة، وأن الوقت الآن ليس منتصف الليل، بل منتصف النهار، ويجب أن تكون خارج السرير تقوم بأعمالها اليومية.

ووجدت ماري كذلك صعوبة في الاستقرار.. حين وضعتها سالي في

الفراش، أغمضت عينيها بطاعة لكنها فتحتهما على الفور.

ـ لست متعبة.

هكذا جلست سالي بصبر إلى جانبها تروي لها القصص إلى أن أغمضت أجفانها ونامت. وتمنت سالي في تلك اللحظة وهي تبتسم لو أن أحداً يروى لها القصص، لتتمكن بدورها من النوم.

وقفت قرب النافذة، تحدق بتعب إلى الحديقة المنتشرة تحتها، ثم استدارت لتغوص في الأريكة الموجودة قرب الجدار. صوت عند أعلى السلم جعلها تتوتر.. ودخل ماكس فجأة ووقف ينظر إليها، يداه في جيبيه، وتعابير وجهه غير مقروءة:

ـ رأيت النور من تحت بابك. فدخلت دون أن أقرعه، لأنني لو طلبت إذنك لاضطررت إلى الانتظار طويلاً.

ـ لا.. ماكس، ما كنت ستضطر..

ثم أدركت أي نوع من الدعوة يتضمنه قولها.

اقترب أكثر، وفي النور المنخفض، رأت ظلال التعب تحت عينيه. كان قميصه غير المزرر يتدلى فوق بنطلونه الجينز وسألها:

ـ هل يزعجك اختلاف التوقيت؟ ألا تستطيعين إقناع نفسك أن هذا وقت النوم، لا وقت العمل؟

هزت رأسها بابتسامة.. كان مزاجه ليناً، أدفأ بكثير مما كان في وقت سابق من اليوم، حين منع وصول ماري خروجها من المنزل. وبدأت آمالها تتصاعد، وضربات قلبها تتماشى مع الآمال بخطى سريعة.

همست مختنقة:

ـ وهل تعرف دواء لهذا الأرق؟

نظرته تكاد تخلع الثوب عن جسدها، وتمنت لو أنه يتوقف عن النظر إليها. رد عليها:

ـ هناك طريقة.. نعرفها كلانا.

أخذت نفساً قليل العمق.

ـ أنا..

كيف تتابع؟ أحبك وأريدك أكثر من أي شيء في العالم.. لكن..؟

تنحنحت، لتكمل بصوت أجش:

ـ هل.. لماذا جئت؟

قال بلهجة عادية جداً:

ـ اتصلت جدة ماري.. وتمنّت لو تبقى ماري معنا لبعض الوقت.. لسوء الحظ وقعت وكسرت عظم كاحلها. وستبقى في الجفصين لثلاثة أسابيع.. هي الآن تسير على عكازتين.

قطبت سالي إشفاقاً: «وهل سألت عما إذا كان هناك شيء نستطيع أن نفعله لها؟».

ـ لقد فعلت.. لكن شقيقتها تقيم معها كما قالت، وتعتني بها، وأكدت لها أن ماري يمكن أن تعيش هنا قدر ما يلزم.. وإذا أرادت أية مساعدة، لا تتردد في الاتصال بي.

ـ وهذا يعني أنك تريدني أن أبقى إلى أن..

ـ إلى أن تصبح جدتها بصحة ملائمة لتأخذها.. أجل.

أضاف بلهجة أكثر لطفاً: «أحتاج لمساعدتك سالي».

تسللت المرارة إلى صوتها: «هل أنت متأكد إنك تثق بي بما يكفي لأعتني بماري؟».

ـ في هذا المجال، أنا أثق بك.. واضح أنك تحبين الأولاد.

ردت، ونظرتها تتشابك مع نظرته:

ـ أنت مضطر لهذا.. كوني معلمة.. أليس كذلك؟

ركع على ركبتيه أمام الأريكة وأخذ يجذبها بين ذراعيه:

ـ قد تكونين مخادعة وقحة، لكنني لا أستطيع مقاومة المرأة فيك.

أجفلت في وجهه:

ـ لا.. ماكس.. لا تستطيع.. لقد عادت فرانسيس إلى حياتك.

بارتباك سمعته يقول: «أنت التي تحملين خاتمي».

هل تملكته في هذه اللحظات بالذات رغبة الرجل، ونسي أن خطوبتهما زائفة؟ مهما كان الأمر، فقد تلاشى حذرها، وأغلقت تفكيرها عن الإنذارات التي كان حكمها الصائب يرسلها.. وأخذت تعيش الفرح بعناقه. حين سمعت صوتاً، رفضته في البداية.. لكن شيئاً في أعماقها عرف أنه صرخة ماري الصغيرة.. وأنها يجب أن ترد عليه.

لا بد أن ماكس سمع الصوت كذلك، فقد تمتم:

ـ ابقي هنا.

همست: «إنها ماري، ماكس.. يجب أن أذهب إليها».

ـ اللعنة! من بين كل الأوقات..!

نادى الصوت الصغير مرة أخرى، وهمست سالي:

ـ أنا آسفة حقاً ماكس.. لكن..

رد متأوهاً: «حسناً.. اذهبي».

استقبلتها ماري بالصراخ والعويل:

ـ أريد أمي.. أين هي أمي؟

ردت سالي تلطف الجبين الصغير الساخن: «ستكون هنا قريباً».

وتمنت لو أنها شخصياً تعرف الرد على السؤال.

خلال الساعة التالية، أجبرت سالي نفسها أن تنبش عميقاً في الجزء المبدع من دماغها، لتخترع المزيد من القصص تقصها على ماري.. في وقت ما، أحست أن ماكس دخل الغرفة.. ووقف وراءها وهي تجلس في كرسي صغيرة، ثم اختار لحظة أغمضت فيها ماري عينيها مؤقتاً، وركع وراء الكرسي الصغير وشد سالي إلى صدره.

التفت يداه حولها.. ثم مع تحرك ماري، تطلب المزيد من القصص، انفصل عنها وغادر الغرفة بهدوء.

بعد ساعتين، وبعد أن لفت سالي الأغطية حول الطفلة النائمة، عادت إلى غرفتها، لتجدها فارغة، ووبخت نفسها لأملها الغبي بأن يكون ماكس هناك.

استيقظت سالي متأخرة، واستحمت، ثم أسرعت إلى الطابق الأرضي، لتجد ماري في المطبخ «تساعد» إيلين وكانت إشراقتها قد عادت إليها ونسيت مخاوف الليلة الماضية.

أكدت سالي لأيلين أن التوست والقهوة التي حضرتها بنفسها كافية لها. ثم سألت بعفوية مصطنعة:

- أين.. أجد السيد ماكنزي، إيلين؟

- في غرفة عمله آنسة سالي.. سأهتم بماري.. وأحذرك عزيزتي، فالسيد ماكس مزاجه سيّء للغاية.. أليس كذلك صغيرتي؟

رفعت الصغيرة يديها تمسك برأسها وقالت:

- إنه مشغول، كما قال.. مشغول مشغول!

وأخذت تضحك.

تساءلت ماري عما إذا كان يجب أن تمسك برأسها كما فعلت ماري حين قرعت باب غرفة عمل ماكس، واستدار بحدة لدخولها. تعابير وجهه مليئة بشر يكاد لا يخفيه، بحيث فكرت أن تتراجع.

كانت الرسائل المجعدة أو الممزقة منتشرة في الغرفة... ما أنذرها بشر مستطير، هو مشهد قصاصات صحف على المنضدة. وهي تنظر إليها من بعد، امتلأت سالي بخوف رهيب.. هل هذه هي القصاصات التي تكلمت عنها تلك المراسلة، والتي أنكرتها سالي؟

قال ماكس بصوت خشن:

- أجل آنسة ديرلوف.. أنت محقة في أن تبدي مثل هذا الذعر.. هذه هي قصاصات صحف عني.. بقلمك، مع اسمك محرفاً. لكن الأسلوب لا مجال للغلط فيه.. أما مواضيعها فحياتي الشخصية، ماضيّ الذي لا تعرفين عنه شيئاً، والذي استخدمت فيه مخيلتك الناشطة.

شهقت سالي: «قصاصات؟ كيف..؟ من..؟».

- على الأقل، أنت لا تنكرين وجودها.. أما كيف وصلت إلى هنا، فسأقول لك.. الفضل للخدمات البريدية.. من أرسلها؟ تلك المعجبة

المدعوة هيني كورزون التي لاحقتني لأجل التوقيع في مطار هيثرو.

دفع رسالة نحو سالي.

- تقول هيني إنها جنت لهذه التصاريح وهي متأكدة من أنني لم أطلع عليها في نيوزيلندة، لذلك أرسلتها إلى هنا لأراها حين عودتي.

أخذت سالي نفساً، تنوي الإعلان عن جهلها الكامل بما يتحدث عنه، لكنه أوقفها قبل أن تبدأ.

وتابع دون شفقة:

- هيني تقترح أن أقدم دعوى قانونية دون تأخير، ضد الصحافي الذي كتب هذه المقالات، وضد رئيس التحرير الذي نشرها.. فما قولك آنسة ديرلوف لو قاضيتكما أنت ورئيس التحرير؟

في البداية، فتشت سالي في الكلمات المطبوعة، علها تتبين منها شيئاً.. لكن الكلمات جمّعت نفسها في أشكال لا معنى لها.. ثم عادت للتجمع في ترتيب خاطىء. ورمشت عينيها في جهد لاستعادة قدرتها على القراءة، وبدأ دماغها المذهول يستوعب المقالات التي أشار إليها ماكس.

كانت فعلاً تثير السخط! وارتجفت يداها وهي تجذب أول مقالة، ثم الأخرى وتقربها بحيث تستطيع قراءة كل كلمة فضيحة. كانت تروي أموراً شائنة عن حياة ماكس الخاصة.. وتلمح إلى أنه يعبث ليس فقط مع خطيبته السابقة، الذي هو والد ابنتها، كما يقول المراسل بل مع الفتاة التي يدعوها كذباً خطيبته الجديدة، وأكد المراسل، أن كل هذا كان وسيلة لإخفاء عودة علاقته مع خطيبته السابقة.. وكل مقالة كانت موقعة باسم «سالي دير».

وقفت سالي ويديها على الطاولة، يكتفين هابطتين، وعينين مغمضتين، تكاد يغمى عليها. واستنتجت أن شخصاً ما، لا بد يكرهها حقاً ليفعل هذا معها.. لكن من؟ ليس هناك سوى شخص واحد، وهو فعلاً يكرهها. إنه فعلاً وسخ الدماغ، وصولي، وربما غاضب منها لتخليها عن متابعة القصة.

بوجه شاحب، استدارت لتواجه الغضب في عيني ماكس.. تمكنت أن تقول:

- لو أريتك تلك الرسالة التي أرسلتها لديريك وينترتون فهل تقرأها، وتصدق ما تقوله لك عيناك؟

- حسن جداً.. أين هي. إذا كانت موجودة فأبرزيها.. وحتى ذلك الوقت، سأكبح غضبي الذي يدفعني إلى التقاط الهاتف والاتصال بالمحامي.

لكن سالي لم تكن قادرة على الوصول إلى الجريدة بالسرعة الكافية.. قالت وهي في الباب:

- قد أغيب بعض الوقت.. يجب أن أذهب إلى محطة القطار أو إلى الباص لأصل إلى لندن.

- خذي سيارتي الصغيرة.. أعتقد أنك تعرفين القيادة؟

وهي تقود تحت المطر، بين زحام السيارات الذي لم تكن معتادة عليه، كانت سالي متوترة، تبكي في داخلها، ويتملكها الغضب لتلاعب رئيس تحرير ستارو جورنال بها.

ولم تعد مهتمة بعودة فرانسيس، ولا بكونه والد ماري.. وعادت إلى ذاكرتها كلمات العمة ديليا: السبب الحقيقي لمجيء ماكس إلى هنا، هو أن يرى ما إذا كان من الممكن أن يعود هو وفرانسيس إلى بعضهما البعض.

تمكنت أخيراً أن تجد مكاناً فارغاً لإيقاف سيارتها على مسافة قريبة من ستارو جورنال. قالت موظفة الاستعلامات:

- أجل.. السيد وينترتون موجود.. هل لديك موعد؟

- لا.. لكن، لو رفض مقابلتي، سأصعد إلى مكتبه بأي شكل.

ووافق ديريك على الفور.

قال بصوت مرتفع، وذراعين منفتحين بترحيب حار زائف.

- آه.. سالي.. عزيزتي.. جئت لتقبضي حسابك أليس كذلك؟ للتقارير التي أرسلتها من الجهة الأخرى للعالم؟ حسن جداً، لقد أبليت بلاء حسناً، ولقد رفعت مرتبك، ورقيتك إلى رئيسة المحررين.

- لن تخدعني بكلامك المعسول سيد وينترتون.

كانت بيضاء شاحبة وترتجف غضباً.. وأكملت:

- أنت خنزير منحط، ولو كان لي ما أريد، لأخرجتك من وظيفتك غداً!

استند إلى الوراء، ورسم ابتسامة كريهة على وجهه:

- إذن، أقيمي الدعوى عليّ عزيزتي سالي.. قاضيني حتى يرضى قلبك.. ليس لديك ما تستندين إليه. فأنا لم أستخدم اسمك مرة واحدة.. أعني اسمك الكامل..؟

- ربما.. لكنك تماديت كثيراً.. فالقراء ليسوا بحاجة سوى إلى استخدام مخيلتهم وإضافة كلمة إلى الاسم الذي نشرته ليصبح ديرلوف.. بعد ذلك سيصل الجميع إلى الاستنتاج الخاطىء، بأنني أنا كتبت المقالات.

تراجع بكرسيه، ليتأرجح على قائمتيها الخلفيتين.

- الجميع؟ ومن سمع بك؟

- هل تتعمد التجاهل سيد وينترتون؟ بفضلك، وبقية أصدقائك الصحافيين، نصف العالم أصبح يعرفني.. بسبب ارتباطي بالكاتب الشهير ماكسيمليان ماكنزي.

تفحصتها عيناه الصغيرتان:

- تسمينه ارتباطاً؟ أستطيع القول أن علاقتك معه ذهبت.. إلى ما هو أبعد بكثير.

احمر وجه سالي بشدة وغضب، وكانت ابتسامته راضية. وأكمل:

- ذلك الارتباط الذي تتحدثين عنه.. سيكون له نفع كبير حين تنضمين إلينا وتستلمين الوظيفة الجديدة التي أعطيتها لك.. وبعد العمل كمراسلة أولى لستار وجورنال، ستكونين جاهزة للحياة.

- أنا لست صحافية، ولم أكن يوماً.. ولا أريد أن أكون الآن ولو عرضت علي مليوناً!

أكمل وكأنها لم تقل شيئاً:

- الصحف الأخرى ستتسابق لتنال رضاك، ولهذا السبب رفعت

مرتبك مرتين، لتبقي بعيدة عن قبضاتهم الشريرة.. وتبقي في قبضتي.

صاحت به: «لا أريد وظيفتك التنتة.. كل ما جئت لأجله هو ذلك الخطاب الذي أرسلته لك بالفاكس من أوكلاند، والذي أقول لك فيه إنني أستقيل من التزامي الشفهي الذي دخلت فيه معك، بالنسبة للسيد ماكنزي».

تظاهر ديريك بالعبوس: «تريدين ماذا؟ عزيزتي سالي.. ليس هناك أي خطاب».

بدا لها أن قلبها تفجر إلى قطع صغيرة.. إنه ينكر وجود تلك الرسالة! إنها أملها الوحيد.

ـ لكنني أرسلتها.. وعنونتها إليك.. كانت رسالة طويلة.. أقول لك فيها.. ما قلته الآن.. ومنذ ذلك الوقت، لم أرسل لك تقريراً واحداً عن ماكس.. كل تلك المقالات.. أنت اخترعتها.

ـ حسناً.. لنقل إنني استخدمت قليلاً من الخيال.

ـ وهل تكرر هذا أمام شهود؟

ـ لن أفعل وحق الجحيم! على أي حال، هل يمكنك إثبات أنك أرسلت تلك الرسالة؟ هل لديك النسخة الأصلية، أو نسخة مصورة؟ لا؟

وبدا عليه الارتياح. صاحت بصوت حاد:

ـ لكنني أرسلتها!

كان غضبها وحزنها رهيبين.. لن تتمكن أبداً من تبرئة نفسها أمام ماكس. وهذا يعني النهاية لكل شيء بينها وبين ماكس ماكنزي.. وأخذت تشحذ دماغها.. لا بد من وجود طريقة، بالتأكيد.

خالها! إنه رئيس مجلس الإدارة.. ولسوف يساعدها.. إنها متأكدة.. كيف؟ إنها لا تدري.. لكن لسبب ما، لا تستطيع تفسيره، كانت تعرف أن عليها مقابلته سريعاً.

***

١١ ـ إلى العميل السري الجميل... مع حبي!

سألت سالي أمها:

ـ كم ستطول المدة قبل أن يعود الخال روبرت من الخارج؟

كانت تستخدم الهاتف في غرفة عمل ماكس. وقالت إيلين لها إن السيد ماكنزي قد خرج ولا تعرف متى سيعود. ردت الأم:

ـ أنا لا أعرف بتحركات روبرت، سالي.. أوه عزيزتي.. أفهم من صوتك أن هناك شيئاً خاطئاً. فهل انفصلت.. عن ماكس؟ وقبل أن تتاح الفرصة لجيف ولي أن نقابله؟

ـ لا.. لا زلنا خطيبين.. لكن.. لا أستطيع أن أشرح الآن، من الضروري أن أرى خالي روبرت.

ـ يمكن أن تجري الاتصال بسكرتيرته عزيزتي.. وبالتأكيد تلك الصحيفة.. ماذا تسمى؟

بصقت سالي الكلمات بصقاً:

ـ سنارو جورنال.. أجل قد يعرفون. شكراً للمساعدة أمي، سأتصل بك قريباً.

أعطاها قسم الاستعلامات في الصحيفة رقم سكرتيرة رئيس مجلس الإدارة، السيد روبرت فاوست واتصلت به سالي بلهفة، وأعطت اسمها:

ـ أود أن أتكلم مع خالي، السيد روبرت فاوست من فضلك.

جاء الرد بصوت أنثوي رقيق:

ـ آسفة آنسة ديرلوف.. لكنه مسافر لأسبوعين.. سنغافورة أولاً، ثم إلى أماكن أخرى. بإمكانك أن تتركي له رسالة، لأنه سيتصل بي حتماً.. إنما لا أعرف متى..

ـ شكراً على أي حال.. لكن الرسالة لن تكون كافية.

وجاء صوت ماكس من ورائها:

ـ حسن جداً؟

بقلب خافق، استدارت.. منذ متى وهو يقف وراءها؟ حتى في ثيابه العادية، كان يبدو جميلاً بما يكفي لتحطيم قلب أية امرأة، فكيف بقلبها هي؟

قالت، تحاول الرد بنبرات باردة مثل نبراته:

ـ أنا آسفة على استخدام هاتفك.. سأدفع ثمن المخابرات التي أقوم بها.

ارتفع حاجباه: «حقاً؟ كيف؟».

نظرته الجوالة أبلغتها عما يجري في أفكاره. ثم تغير تعبير وجهه إلى البرود.

ـ إذن.. أين الدليل الذي جئت به للبرهان على أنك تقولين الحقيقة في أنك لست مؤلفة تلك التقارير المشينة؟

بكتفين هابطتين، ردت سالي: «لقد أنكر ديريك ونترتون أنه تلقى الرسالة».

قال ساخراً: «هذا مناسب جداً».

سار في الغرفة ويداه في جيبيه، ثم توقف أمامها:

ـ على أي حال، قضيتك تفجرت في السماء. اعترفي بهذا.. كانت آخر محاولة لتأجيل لحظة الحقيقة.. أليس كذلك؟ لذا اعترفي أن شكوكي كانت، ولا تزال، على أسس لا يمكنك إنكارها! من المؤسف أن كل شيء انقلب ضدك.. لم يحدث في حياتي أبداً أن خدعتني امرأة، أو كنت مخطئاً في حكمي على شخصيتها.

شدت سالي خاتمه، وخلعته: «خذه!».

لكن يداه بقيتا في جيبيه.

ـ استرده.. وإلا سوف..

مزقتها شهقة بكاء، ورمت الخاتم إلى الأريكة، حيث قفز ثم استقر.

لا بد أن ماري تسللت إلى الغرفة في لحظة ما، وبدت مذعورة تعيسة.. على الأرجح أنها سمعت الكثير مما جرى. مدت ماري يدها، وهمست:

ـ هل تبكين؟

ركعت سالي أمامها، وامتدت اليد الصغيرة تربت الخد المبلل.

ـ هل أنت مشتاقة إلى أمك.. مثلي؟

ـ أوه حبيبتي.. أنا..

وفاجأتها شهقة بكاء أخرى.. أجل.. أنا مشتاقة.. مشتاقة لابتسامة ماكس حين كان ينظر إلي.. إلى دفء ذراعيه.. إلى قوته الرجولية.. أخيراً تمكنت أن تبتسم، وأكملت:

ـ أنا بخير ماري.. حقاً أنا بخير.

لمحت ماري الخاتم: «أوه.. انظري! هذا لك سالي.. هل وقع منك؟».

ـ إنه ليس لي ماري.

نظرت الصغيرة بلهفة إلى كليهما: «لكنه كان دائماً في إصبعك..».

أخذه ماكس من كف ماري، ونظر إلى سالي ببرود وكأنه يقول: كفي عن إقلاق الطفلة..

ـ هلاً أعطيتني يدك لأعيد هذه الحلية إلى مكانها المناسب؟

لقد دعاه «حلية» ولقد كلفه ثروة! هل هذه قيمته بالنسبة إليه؟ كم أن قيمته صغيرة! وقيمة من تحمله!

ردت سالي: «لا أستطيع التفكير لماذا.. لكن، إذا كان هذا ما تريد..».

ـ إنه ما أريد.

- بالرغم من رأيك في استقامتي؟ إنها نهاية الطريق، ماكس..

- لقد قلت لك من قبل، حين نصل «نهاية الطريق» التي تشيرين إليها.. سأدعك تعرفين.. وفي هذه الأثناء سأكون ممتناً لو تابعت دور من لا يستطيع العيش دوني.

رفع يدها، ووضع الخاتم في مكانه.. في الدقائق القليلة لغيابه عن يدها، اشتاقت إليه.. وإذا كانت اشتاقت لخاتم الرجل، فكيف ستتمكن من تحمل السنوات الفارغة الممتدة أمامها من دون الرجل نفسه؟

سأل جيرالد حين اتصلت به سالي بعد ثلاثة أيام:

- هل ما زالت خطوبتك لماكس ماكنزي قائمة أم لا؟

- لم تكن قائمة أصلاً.

- السؤال هو: ألا زلت تضعين خاتمه؟.. حسب الصحافة، فإنه خاتم رائع!

ابتسمت سالي بحزن وهي تنظر إلى الخاتم.

- إنه مجرد.. نوع من الديكور المسرحي.

أكملت بمرارة: «مؤلف مشهور، يجب أن يعطي محبوبته الزائفة تعبيراً ثميناً عن حبه.. أليس كذلك؟».

قال جيرالد: «تبدين مختلفة».

- وأنا فعلاً مختلفة عن آخر مرة رأيتك فيها.. لقد كبرت.

صمتت للحظات.. ثم وجدت أن من حقه الحصول على تفسير ما، فقالت باقتضاب:

- أنا.. أحبه جيرالد وهذا لا يفيدني كثيراً! فحبه الحقيقي إنما هو لخطيبته السابقة..

كان جيرالد يتابع أفكاره الخاصة: «لم يكن لي فرصة أبداً.. أليس كذلك؟».

ردت بلطف: «حاولت مراراً أن أقول لك هذا.. حتى قبل أن أسافر».

- أنا الذي سيسافر هذه المرة.. سأتبع مثالك ومثال الكثيرين؛ سأسافر عبر العالم. ولن يطول الأمر بعد الآن.. لقد قدمت استقالتي من المدرسة. سأفتش عن فرص للتعليم في الخارج.

ردت بنعومة: «أنا آسفة جيرالد.. لكن..».

- لا بأس في هذا.. الأمر لا يتعلق بك فقط. فالرجل يجب أن يبدأ في وقت ما.

تسللت ماري نحو سالي وأمسكت يدها تشدها، وتسأل:

- هل تتكلمين مع أمي؟

همست سالي: «لا حبيبتي.. إنه جيرالد، وهو صديق لي».

سأل جيرالد: «طفل من هذا؟ هل هي الفتاة التي تقول الصحافة إنها نتاج علاقة مع خطيبته السابقة؟».

- لا أعرف جيرالد من هو والدها، كنت أتساءل.. لكن..

- ولماذا لا تسأليني؟

لهجة ماكس الحادة الآتية من خلف سالي، باغتتها تماماً.. وأخذت موجات البرد والحرارة تتعاقب على عمودها الفقري. قالت بعجلة:

- يجب أن أنهي المكالمة الآن جيرالد.

- حسن جداً.. أفهم.. سأتصل بك.

وأقفل الخط. قالت سالي:

- أنا آسفة.. لا دخل لي في..

أحست سالي أن المشاكل ستبدأ مجدداً. وجاءها صوت ماري:

- سالي.. هل تخرجين معي لنتمشى حول بركة سباحة ماكس؟

ردت وهي مسرورة لخلاصها من الاستجواب في عيني ماكس.

- طبعاً حبيبتي.

***

وقف ماكس في طريق سالي مصمماً بعناد، بعد أن وضعت ماري في فراشها لتنام:

- أود أن أوضح أمراً محدداً، يبدو أنه يقلقك..

كان الوقت متأخراً أكثر من العادة، فالصغيرة قاومت النوم، تقول بين قصة وأخرى:

- متى ستأتي أمي؟.

وتتقبل على مضض رد سالي الغامض: «قريباً».

ردت سالي: «لا أعرف ما تعني».

نظرت بقلق إلى باب غرفة ماري، وأحس ماكس السبب.

- هل تسمحين؟

وسار أمامها إلى غرفته.. وقف مستنداً إلى الباب، يداه في جيبيه، وقامته النحيلة الفارعة جعلت مشاعرها تتفجر في رقص مذعور..

قال: «ما أشير إليه، هو مسألة كنت تبحثينها مع صديقك وهي السؤال عن هوية والد ماري».

قالت بحدة: «كما قلت.. هذا ليس من شأني.. ولا داعي لتشرح.. لكن، شكراً للعرض».

لهجتها الحادة الثابتة، أثارت غضبه.. لكن ما لا يعرفه، هو الجهد الذي تبذله للبقاء ثابتة.

- مع ذلك، سأقول لك الحقيقة.. كي تستطيعي تمرير الخبر إلى قطيع الذئاب من زملائك الصحافيين..

صاحت: «للمرة الألف.. إنهم ليسوا زملائي!».

نظرته الساخرة حولت داخلها إلى سائل:

- لا؟ كما قلت، سأغتنم هذه الفرصة لأصحح المعلومات في مسألة ما إذا كنت، والد ماري.. وأنا أصرح الآن بأن ماري اندرلي ليست ابنتي، وما كنت لأتبناها.. هل تفهمين؟

رفعت سالي رأسها: «أنا.. ولماذا أفهم؟».

كانت تعي جيداً أن كلماتها مثيرة.. لكن، هل توقف لحظة ليفكر أن اتهامه لها بالتآمر السري مع الصحافة يمكن أن يكدرها؟

أكملت: «لماذا أصدقك وأنت لا تصدقني؟».

- أيتها..

واندفع نحوها ليمسكها بقبضة حديدية، ويشدها بقسوة إليه: «كنت أظن أنني أعرف نفسي.. وظننت أنني رجل غير حاد الطباع، إلى أن ظهرت في حياتي.. كنت لا أخرج أبداً عن السيطرة حين أثور. لكن أنت.. أنت المتآمرة الصغيرة، أخرجت من نفسي الجانب البدائي المختبىء، والذي لم أكن أعرف أنه مني.. جعلتني أريد أن..

أمسك حزمة من شعرها، وأرجع رأسها إلى الوراء بحيث اضطرت إلى النظر إلى عينيه مباشرة.. ومع أن شراسة غضبه أفزعتها، إلا أنها أرسلت كذلك رعشة في كيانها.. وتابع بحرقة وتوتر:

- كيف ضللني اسمك.. وعنايتك المزعومة بوالديك.. وأخلاقك الحلوة الزائفة.. لن أستطيع مسامحتك لأنك خذلتني.. لأنك ختنني.. ومراقبتك الدقيقة الخفية لنشاطاتي الحميمة.. اعترفي.. اعترفي أن براءتك السطحية هي مجرد غطاء لنواياك السيئة المختبئة في الداخل.

- هذا غير صحيح.. أنت مخطىء..

لكن ماكس لم يكن في مزاج ليسمع. فأكمل صائحاً:

- لقد وقفت بيني وبين عملي، لا أستطيع التفكير بصفاء.

هزها:

- يجب أن أخرجك من نفسي..

ترك شعرها، وبدا غير متأثر أبداً بالدموع التي قفزت من عينيها للألم الذي أوقعه فيها.. ثم ابتعد عنها بغضب وخرج...

كان الوقت متأخراً حين استيقظت.. وخاب أملها عندما تذكرت مواجهتهما بالأمس.. لكن ماذا تتوقع؟ إنه لا يحبها، يجب أن تواجه الأمر.. ألم يقل يجب أن أخرجك من نفسي؟ وهذا ما كان الأمر عليه!

عادت إلى غرفتها واستحمت، ثم ارتدت ملابسها.. حين نزلت إلى الفطور، وجدت المطبخ خالياً.. كانت إيلين وماري في الحديقة.

وهي تتساءل أين هو ماكس، وما هو مزاجه، حاولت لجم عواطفها. بقلب يضرب بسرعة، أطلت برأسها إلى غرفة عمله.. إنها تأمل بمصالحة فرحة مشحونة بالعناق.

خيبة أملها كانت شديدة، إذ لم يكن هناك. قالت لها إيلين:

ـ لقد خرج باكراً آنسة سالي.. قال إنه سيغيب يومين.. وقال شيئاً عن بحث يقوم به في شمالي انكلترا. وطلب مني أن أخبرك بذلك.

رن جرس الهاتف في المدخل، وأسرعت لترد: «المخابرة لك آنسة سالي.. أظنها أمك».

قالت إدي ويلنغ: «أظنك تريدين أن تعرفي عزيزتي.. خالك روبرت في البلاد.. قلت له إنك تريدين التكلم معه وهو سيرحب بك في أي وقت.. واقترح أن مكتبه في ستار وجورنال هو على الأرجح الأكثر ملاءمة لك. اذكري فقط أنك ابنة أخته، وسوف يدعونك تصعدين إليه على الفور».

ـ شكراً أمي.. شكراً أمي.

وتبادلتا بعض الكلام العائلي، ثم أنهتا المكالمة بعينين دامعتين. احتضنت سالي ماري، التي جاءت لتقف إلى جانبها.. كانت واثقة أن الخال روبرت سيساعدها في إيجاد طريقة للخروج من الصعوبات التي تواجهها.

سألت ماري بأسى: «هل كانت هذه أمي التي تحادثينها؟».

ردت سالي: «لا.. بل كانت أمي أنا».

وقبلت خد الصغيرة، ثم استدارت إلى ايلين، القريبة منها.

ـ أنا مسافرة إلى لندن هذا الصباح لرؤية خالي، اتظنين أنك قادرة..

وأشارت برأسها نحو ماري.

ـ طبعاً آنسة سالي.. سأعتني بها جيداً.. وسأضعها في الفراش، إذا لم ترجعي في الوقت المناسب.

احتضنت سالي ماري مرة أخرى.. في أعماقها، كانت تأمل بحصول معجزة، وأن تتمكن من إثبات صدقها أمام ماكس.

كان خالها أرمل، رمادي الشعر، عميق الصوت، ضخماً مرح

الطباع. كانت سالي متعلقة بشقيق أمها منذ الصغر. ولطالما ساعد شقيقته مالياً خلال مرض زوجها، لسنوات طويلة، ولم تنس سالي لطفه.

استمع إليها بصبر وباهتمام عميق، وهي تروي قصتها.. طلب بضع دقائق ليفكر بالأمر. ثم التقط الهاتف، واستدعى ديرك وينترتون إلى مكتبه.

ـ سوف نحل المسألة بطريقة ما عزيزتي سالي. لو أنك فقط تنتظرين في مكتب السكرتيرة! ولن أقول لرئيس التحرير أكثر مما يجب أن يعرف.. موافقة؟

بامتنان، هزت سالي رأسها، متنبّهة إلى أن ما لا يعرفه ديرك وينترتون، يخترعه ببساطة.

بعد عشرين دقيقة دعا روبرت فاوست ابنة أخته لتعود إلى غرفته. وقال بلهجة آمرة:

ـ عد بسرعة وينترتون.. وإلا، فلن أريد أن أعرف سبب تأخيرك.

نظر ديرك وينترتون من فوق كتفه نظرة كانت فيما مضى تدفع سالي إلى التكدر خوفاً من نواياه.. لكنها الآن، وخالها إلى جانبها، أحست أنها محصنة ضد أي شيء قد يفعله. سألت متأنية:

ـ هل.. طردته.. خالي؟

ـ ليس بعد.. ليس إذا جاء بما هو جيد. لقد راوغ كثيراً، وقال أخيراً بأنه ربما يتذكر وجود رسالة..

شهقت سالي: «لكنه أنكر وجودها تماماً حين سألته».

ـ أجل.. في البداية قال إنه مزقها.. ثم حين هددته بالطرد، اعترف أنه أنقذها من سلة المهملات ووضعها في ملف.. لقد تذكر أن الرسالة من ابنة أخت رئيس مجلس الإدارة، ومن الأفضل له أن يحتفظ بها.. مع الاستمرار في إنكار وجودها أمامك. أراد أن يبقيك في العمل، كما قال.. ليس فقط لأنك قريبة لي، بل لأن لديك إمكانيات كصحافية.

ـ ليس لدي شيء خالي، حقاً ليس لدي.. وهو يعرف هذا.. لقد

تدربت للعمل كمعلمة، وسأبقى معلمة على الدوام. لقد تخلّيت عن أحلامي كفتاة مراهقة، في أن أكون مراسلة أربح جوائز..

كان الخال لا يزال يضحك حين عاد رئيس التحرير، وفي يده قطعة ورق وفي وسطها ثقوب الملف.. وانطلق قلب سالي يسابق الساعة.. البرهان الذي سيصحح الأمور بينها وبين ماكس في يده، ولسوف يعيدها إلى المستوى الرفيع في نظره، ويستعيد بهذا إيمانه بأحكامه عن شخصيتها.

قبل أن تغادر المكتب، رمت ذراعيها حول خالها المبتسم.

***

ركضت ماري لتحيتها وهي تدخل إلى الردهة الأمامية.. ورفعتها سالي عالياً، ثم قبلتها بصوت مرتفع على خديها. قال صوت أنثوي من باب غرفة الجلوس:

ـ سأكون مسرورة لو أنزلت ابنتي من يدك. لا داعي للاستمرار في لعب دور المربية المحبة، وأنا هنا الآن.

صاحت ماري بحبور: «أمي.. أمي هنا!».

وأنزلتها سالي لتركض إلى جانب السيدة وتتعلق بيدها.

استقرت عينا فرانسيس ببرود على وجه سالي الشاحب.. وأكملت:

ـ كنت أعرف منذ البداية، آنسة ديرلوف، أن خطوبتك المزعومة هي لأغراض الدعاية فقط. لقد استخدمها ماكس كغطاء يمكننا من حل الأمور بيننا. ولقد اتخذنا القرار.. وها أنا هنا.. ولا أرى سبباً وجيهاً لاستمرارك في العيش في هذا المنزل.

ارتجفت في داخلها... صدمة وخيبة أمل عميقة.. برهانها على صدقها جاء متأخراً جداً.. سألت سالي بهدوء قدر ما سمح لها ارتجافها الداخلي:

ـ وهل تطلبين مني أن أخرج من هنا؟

ارتفع رأس فرانسيس بعجرفة، فأكملت سالي ببرود يماثل برود غريمتها:

ـ مع احترامي آنسة أندرلي.. هل أنت واثقة أن لك السلطة لتصرفيني

من منزل ماكس؟

فقد وجه فرانسيس الجميل بعضاً من جماله:

ـ ماكس لن يتزوجك أبداً آنسة ديرلوف.. أولاً، أنت لست من طرازه.. ثانياً مهما حدث بينكما أؤكد لك أن ذلك كان لغرضه الخاص.. هل تفهمين ما أعني؟

اعترف سالي لنفسها بصمت، أنها فعلاً فهمت ما تعنيه السيدة. فماكس لم يقل يوماً إنه يحبها. لكن وضع الحقيقة في كلمات صريحة قاسية جعلها في الجهة المقابلة.

بدا أن فرانسيس مصممة على الضغط في ما تريد:

ـ سبب عودتك معه من نيوزيلندة، هو الاعتناء بماري إلى حين عودتي.. أليس صحيحاً؟

هزت سالي رأسها، تحس بالغثيان حتى أعماقها لأن ما تقوله صحيح، وللمرة الثانية.

ـ حسن جداً.. ها أنا ذا قد عدت، ووظيفتك انتهت!

الكلمات التي لم تقلها، أشارت على سالي بما يجب أن تفعل.

ركضت ماري إلى سالي، تمسك بيدها بقوة، وكأنها أحست مرة أخرى بما يجري.

ـ هل تأخذيني سالي لتتمشى حول بركة ماكس؟

وهي تكبح الدموع المهددة للكلمات العزيزة المألوفة، فعلت سالي ما طلبت ماري لآخر مرة. ثم احتضنتها، وودعتها بصمت.

***

نظرت سالي عبر النافذة من غرفة نوم جيرالد الوحيدة.. كان قد وافق بابتهاج على طلبها في أن تستأجر الغرفة بنفسها، بعد موافقة صاحب الشقة.. فقد رتب جيرالد أمر إقامته مع والديه وهو يتحضر لسفره حول العالم.

مر شهر منذ تركت منزل ماكس.. ولم تسمع كلمة منه، ولم تتوقع أن

تسمع شيئاً.. وحدها أمها كانت تعرف عنوانها الجديد، ولقد أجبرتها سالي على أن تقسم على الكتمان.. فهي لا تريد أن يجدها أحد، لا الصحافة، ولا ماكس ماكنزي بوجه خاص.

من وقت لآخر، كانت ترى إشارات عنه في الصحف.. أحد التقارير ادعى عودة فرانسيس إلى منزله، وأنه عاد من رحلة عمل ليكون معها.. صحيفة أخرى ادعت أن الشائعات تقول إنهما سيعودان إلى الخطوبة، وبنويان الزواج في أواخر الصيف.

وهي تسعى للسلوان اندفعت في العمل حتى الإرهاق، ووجدت لنفسها عملاً إضافياً في المنطقة. اكتشفت سالي أن الليالي، كانت الأسوأ. حين كانت أحلامها حول ماكس تنقلب إلى كوابيس، كانت تستيقظ منها وتمد يديها بيأس تريد أن تتلمسه، لكنها لا تجد أمامها شيئاً.. لو تستطيع أن تراه مجدداً. مرة واحدة تكفي.. لو تستطيع أن تريه تلك الرسالة، لتستعيد قيمتها في نظره وأشياء أخرى.

كان اليوم صباح السبت.. وهي تتجول دون هدف في السوق، توقفت، كما تفعل دائماً، لتنظر إلى الكتب المعروضة في الواجهة.. أحياناً كانت مؤلفات ماكس تعرض هناك، وتطيل عيناها النظر بشوق إلى لوحة له، مركزة في الوسط.

ذلك الصباح، وجدت صورته مجدداً يحيط بها آخر كتاب له، وقد أطلق عليه اسم «الانحراف نحو الخطر».. واتجه اهتمامها إلى إعلان يقول: «يوم السبت، ١٥ نيسان، في العاشرة والنصف، سيكون ماكسيمليان ماكنزي موجوداً في هذا المحل لتوقيع نسخ من آخر كتاب له».

نظرت بذهول إلى ساعتها لتتأكد من التوقيت، إنه اليوم.. هل هو موجود هنا؟ في ثانيتين، اتخذت القرار.. هذه آخر فرصة لها لتبرىء نفسها أمامه.

لحقت ببعض الزبائن إلى المحل، ورأت أن المنضدة التي يجلس عليها محاطة بجمع متلهف. وهذا يعني أن المدخل محجوب عنه. اشترت نسخة من

الكتاب، ووجدت مكاناً خالياً، لتكتب على ورقة صغيرة: «لدي الدليل على أنني كنت أقول الحقيقة.. فهل ستصدقني الآن؟ سارة ديرلوف».

بقلب خافق، انتظرت في الصف... لاحظت أن ماكس كان ينظر بسرعة إلى كل زبون وهو يوقع الكتاب ويعيده إليه، لكن ليس لوقت يكفي بأن يتعرف على وجه أحد.. حسن جداً.. لا بأس بهذا بالنسبة لها.. فهي لا تريده أن يتعرف عليها، بل أن يقرأ ملاحظتها.

كانت يدها ترتجف وهي تضع الكتاب على الطاولة. جذبه نحوه، وجهّز يده ليكتب.. دفع جانباً الورقة التي دستها داخل الغلاف الأمامي ووضع توقيعه مضيفاً: ومع أطيب التمنيات.

وهو على وشك إقفال الكتاب، لا بد أن عيناه لمحتا اسمها على الورقة المطوية، ففتحها، وقرأ ما تحتويه.. جمد.. وبدا كأنه قطع أنفاسه.. ثم ارتفعت عيناه.. ورأى وجه سالي، فرمى قلمه.

إلى أن استدار حول الطاولة، يشق طريقه بين الجمع، كانت سالي قد خرجت من المحل، ووصلت الرصيف، تلوح لسيارة أجرة. كانت تعطي السائق عنوانها، حين أطبقت يد على كتفها، واندفع إلى داخل التاكسي.

صاحت: «لا!».

لكن ماكس كان قد جلس إلى جانبها، يقول للسائق أن يتابع السير إلى العنوان الذي أعطته له السيدة.

قالت بإصرار: «لا يمكنك فعل هذا».

ـ يمكنني.. ولقد فعلت.

ومرت الرحلة بصمت، بغضب من جهة سالي، وتصلب من جهة ماكس.

حين وصلا إلى خارج المنزل الڤيكتوري الطراز حيث تحتل شقة جيرالد الطابق الأعلى، خرجت سالي باندفاع وسحبت مالاً من حقيبة يدها، وقالت للسائق بصوت غاضب مرتفع:

ـ أرجوك، أعد هذا الرجل من حيث جئت به.. إنه يفرض نفسه

بالقوة علي! ليس من حقه أن..

قاطعها ماكس: «لي كل الحق، باعتباري خطيبك!».

أبعدها جانباً دون مراعاة.. وابتسم السائق، راضياً برد ماكس وقال:

ـ خصام الأحبة.. هيه؟

وابتعد ملوّحاً.

لحق ماكس بها إلى فوق، مصراً على عدم مفارقتها حتى وهي تستخدم المفتاح وتدخل.

حاولت سد طريقه: «لست أدري لماذا أنت هنا.. لكن..».

ـ أوه.. بلى.. تعرفين.

أصبح الآن في الداخل، ينظر حوله، وبدا غير متأثر بما يرى.. كان قد ظل صامتاً بشكل رهيب خلال الرحلة وهو الآن أشد كرهاً للكلام.. بينما شرعت سالي بخلع سترتها أخذ يجول في الشقة، يتوقف هنا وهناك ليتفحص ويحكم. نظر إليها ببرود:

ـ إذن، منذ مغادرتك منزلي، تقيمين مع صديقك.

قطبت سالي، تعرف أن جيرالد قد ترك بعضاً من أشياءه، لكن كيف يمكن لماكس أن يفترض هذا من مجرد النظر إلى هذه الأشياء؟ ثم تذكرت الصورة الموقعة التي تركها جيرالد على الرف..

ـ ليس لهذه الصورة أية ميزة في حياتي.

ـ لكنك لم تستطيعي الانتظار لنزع خاتمي.

وتحسست مكان الخاتم، حركة كانت ترددها دون وعي عشرات المرات يومياً، منذ أعادت الخاتم إلى علبته، وتركته في درج غرفتها في منزل ماكس.

هزت كتفيها دونما اكتراث: «لم يعد له معنى».

ـ حقاً؟ أنا لا أذكر أننا بحثنا الأمر.

ـ لقد وصلت فرانسيس. لذا لم يبق لي عذر لأبقى.. قالت لي إنها ستتولى أمر رعاية ابنتها.

وتمنت لو أن قلبها يخفف من سرعته.. وأن لا يؤثر عليها قربه منها بعد

غياب طويل يمثل هذه القوة.

نظر حوله: «لماذا لا تكونين صادقة وتعترفين أنك لم تستطيعي الانتظار للعودة إلى صديقك؟ هل ستعيشان هنا حين تتزوجين منه؟ أم أنكما تنويان التخلي عنه بعد مراسم الزواج؟ على أي حال، أنت تعيشين معه الآن».

احتجت: «أنا لا أعيش معه.. ولم أفعل ولن أفعل... إنه ليس هنا».

هز كتفيه:

ـ هذا واضح.. لكنه سيعود قريباً.. ألأجل هذا أنت متوترة، ولا ترغبين بوجودي هنا؟

ـ إنه لن يعود، ألا تفهم؟ إنه مسافر في رحلة حول العالم.. وهذا ما كنت سأفعله.. حين التقيتك.

تابع ماكس النظر إليها، بوجه غير مقروء. فتابعت القول:

ـ إنه يقيم مع أهله.. وكان مسروراً أن يحوّل لي الإيجار.. نحن لم نكن يوماً أكثر من صديقين.. أنت.. من بين كل الناس.. يجب أن تعرف هذا.

وانخفض صوتها إلى الهمس: «الآن هل تذهب؟».

جف حلقها، وانعقد لسانها توتراً وشوقاً وحزناً.. ربما ستكون هذه آخر مرة تراه فيها.

سار نحو النافذة، ينظر إلى الخارج. واضح أنه لم يكن معجباً بالمنظر. قالت سالي:

ـ عد إلى فرانسيس.. المرأة التي ستتزوجها. لقد قطعت رحلتك بسرعة حين سمعت أنها عادت أليس كذلك؟.. لقد أسرعت إلى جانبها.. هذا ما قالته الصحف.. كنتما ستعودان إلى الخطوبة، وستتزوجها في وقت قادم من السنة.

بعد صمت، بدا فيه يستوعب معنى كلماتها، استدار ماكس ليواجهها:

ـ أنت.. سالي ديرلوف.. وبعد كل ما عانيته على يد الصحافة، تقولين لي إنك تصدقين ما تقرأينه فيها؟ دعيني أصحح لك معلوماتك.

وأخذ يعد على أصابعه:

ـ أولاً، كنت أنوي الغياب ليومين فقط.. ثانياً، عملي كان يسير بسرعة، وقد تركتك تلك الليلة لأن الكتاب كان جاهزاً في رأسي، وما كان علي سوى أن أسجله بالأبيض والأسود.

هزت سالي رأسها وبللت شفتيها: «أنا.. رأيت حالة غرفة عملك».

ـ صحيح.. ثالثاً، لقد غادرت بسرعة بعد مكالمة هاتفية عاجلة.. شخص كنت أريد مقابلته على عجل اتصل في وقت غير متوقع.. ولهذا لم تتح لي فرصة إعلامك بالأمر.

لانت لهجته قليلاً: «لم أرغب في أن أوقظك.. رابعاً، لقد عدت بسرعة، أجل.. لكن ليس إلى فرانسيس».

سمعت كلماته.. سمعت التركيز والتأكيد، لكنها لم تجرؤ على الأمل.. وقالت تشرح:

ـ الأمر لم يكن يتعلق بالصحف فقط.. العمة ديليا قالت.. إن السبب الرئيسي لعودتك إلى نيوزيلندة هو أن تقرر ما إذا كنت وفرانسيس ستعودان إلى بعضكما.

ـ العمة ديليا رومانسية ميؤوس منها. لكنها في النهاية رأت ما هو الأمر بيننا، أنا وأنت، وأبعدت فرانسيس من حبكة قصتها الخاصة.

وهي محتارة، تصم أذنيها عما تحاول مشاعرها إيصاله إليها، احتجت سالي:

ـ لكن فرانسيس قالت لي إن القرار اتخذ.

ـ أي قرار؟

ـ أنكما ستتزوجان.. هذا ما افترضته.

ـ لا تفترضي شيئاً.. تأكدي دائماً. وفي مثل هذه الحالة خاصة.

تقدم إليها: «أرادتك أن تفترضي، وكما فعلت، أن القرار مشترك في تجديد علاقتنا والزواج.. الغيرة تبرز ذاتها بطرق غريبة».

ـ لكنها كانت تعرف بزيف خطوبتنا، وهذا يعني أن لا سبب يدعوها

للغيرة مني.

ابتعد إلى الموقد القديم الطراز، وأخذ يلامس بعض الأشياء على رف الموقد.

ـ منذ سنوات مضت.. وكما لا شك تعرفين، كنت وفرانسيس مخطوبين.. وكنا على وشك الزواج، حين أعلنت لي أنها حامل من رجل آخر رفض أن يتزوجها ثم هجرها واختفى فجأة من حياتها.

صمت لبعض الوقت.. وشجعته سالي: «لا بد أن هذا كان صدمة قوية لك.. أنت.. لم تفعل؟ أعني لم تتزوجها؟».

ـ لم أفعل.. وبقينا صديقين، لا أكثر.. بعد ولادة ماري، قالت فرانسيس إنها لا تزال تحب والد طفلتها، وقررت أن تفتش العالم عنه.. مؤخراً، وجدته.. إنه يعيش في أوكلاند.. ولقد أحب ماري جداً، واكتشف أنه لا يزال يحب أم ابنته، لذلك اقترح عليها الزواج، وكان في نفسها بعض التردد.

استدار ماكس نحو سالي وتابع قائلاً:

ـ في نيوزيلندة، طلبت فرانسيس مني النصيحة.. واقترحت عليها أن يجتمعا كي يتعارفا مجدداً، دون إعاقة أو تأثير من الطفلة، ولو أنها محبوبة جداً.

هزت سالي رأسها موافقة تماماً: «ولهذا جئت بماري إلى هنا».

ـ كانت فرانسيس ممتنة جداً لعرضي.

ـ وأين هي فرانسيس الآن؟

ـ في نيوزيلندة.. بقيت أسبوعين مع أمها، ثم أعادت ماري معها.. لقد تزوجت والد ماري أخيراً. ويبدو أنه يحب زوجته، وندم كثيراً على تصرفه السابق.

كانت ابتسامة ماكس حقيقية هذه المرة:

ـ أنت كمعلمة لغة إنكليزية سابقة..

هزت رأسها نفياً: «بل حالية.. لقد عدت إلى التعليم».

هز رأسه موافقاً وأكمل: «ومخترعة ممتازة لقصص الأطفال، كما أعرف بالخبرة، لا شك أنك ممتنة للتحول السعيد في قصة فرانسيس اندرلي».

خرجت أنفاسها بسرعة وخفة وهي تنظر إليه:

ـ أتقول.. أتقول إنك حر من أي التزام نحو فرانسيس؟

ـ مثل هذه الالتزامات، لو وجدت، انتهت منذ سنوات.

خطوة نحوها جعلتها تشهق لسرعة خطفه لها إلى ذراعيه.

في البداية، وقد صدمتها حركته المفاجئة، تصلبت بين ذراعيه. ثم لانت والتصقت به ترد عناقه بعناق. وانضمت ذراعاها لتلتفا حول عنقه، تتعلق به كما تتعلق بالحياة وهو يميل بها يمنة ويسرى.

حين رفع رأسه أخيراً ينظر إليها، أحست أنها طرية كالصلصال بين يديه.

غزا عينيه دفء حوّل أطرافها إلى سائل، وأرسل الدم يجري متسارعاً في جسدها.

ـ هكذا أفضل.. لا تقاوميني أبداً مرة أخرى، آنسة ديرلوف.. تذكري أنني في المستقبل، سأطالب بالرضى الكامل من المرأة التي أحب..

سألت بصوت أجش غير مصدق: «المرأة.. التي تحب؟.. من.. أنا؟».

رفع عيناه إلى السماء: «من؟ تسألني! أليس الأمر واضحاً؟ ألم يكن واضحاً منذ لحظة التقينا؟».

ـ لا.. لم يكن واضحاً.. ظننت.. لقد صدقتك حين قلت لي إنك تريد الخطوبة لأسباب مهنية.

ـ أوه.. هذا صحيح.. لكن المهم أكثر، كان أسبابي الشخصية. بطريقة ما، كان عليّ أن أبقيك معي، ومساعدتك في محنتك لم تكن سبباً كافياً.. لذلك كان يجب أن أفعل هذا بطريقة أكثر دهاء ومكراً

ـ وأن تطلب مني العمل كمساعدة لك، إضافة إلى التظاهر بأنني خطيبتك؟

ـ طريقتان لمنعك من الهرب.. لقد وجدتها كما تقول الأغنية، ولن أتركها بحق السماء تذهب، وهي هنا، أنت.

حاولت الابتعاد من بين ذراعيه: «لكن، الأشياء التي اتهمتني بها؟ أنت لم تثق بي.. لم تصدقني.. أليس كذلك؟».

ـ هذا صحيح.. ولهذا قمت بكل ما بوسعي لأخفي مشاعري عنك، ولن تعرفي كم كان ذلك صعباً. عرفت غريزياً من لقاءنا الأول، أنك تخبئين شيئاً، وأنك لست صريحة تماماً.. ولقد ثبت لي أن غريزتي على حق.. صحيح أنني أحببت، لكن يجب كذلك أن أثق، ولهذا، حبيبتي، مرت عليّ شهور صعبة.

قبل خدها بخفة، وأكمل: «يجب أن تعترفي بأنك في البداية كنت تريدين التجسس علي.. وإرسال التقارير السرية عني إلى الصحيفة التي كانت تستخدمك.. وهذا ما فعلته.. أليس كذلك؟».

ارتفع حاجباه ليرسلا موجات خوف باردة على عمودها الفقري.

ـ لقد فعلت.. لكن ليس لوقت طويل.. ولقد حصلت على تلك الرسالة، لأثبت ما أقول.. وقبل أن أحضرها هناك اعتراف آخر.. أنا..

وتركها، لتحس بهواء بارد يلفها.. فتنحنحت: «أنا.. أحببتك سيد ماكنزي منذ البداية.. ولقد اتهمتني أنني معجبة، وهذا ما أنكرته، لكن يجب أن أقول لك إنني أصبحت من المعجبين، وليس فقط بكتبك».

رد بلهجة عنيدة: «حسن جداً، أين البرهان الذي ادعيت أنه معك في الورقة التي دفعتها تحت أنفي اليوم؟».

ـ ليس هناك أي ادعاء.. الرسالة هنا..

فتشت حقيبتها حيث وضعت الرسالة منذ استلمتها على أمل أن تريه إياها يوماً.

أخذها منها، ولامس مبتسماً الثقب الذي تسببه مخرز ديرك وينترتون فيها.. وهو يقرأ، حاولت سالي قراءة قسمات وجهه، لكنه لم يعطها شيئاً. همس أخيراً بصوت أحش:

- فتاتي الحبيبة.

وفتح ذراعيه واسعاً، فألقت بنفسها بينهما، تحب قوتهما، وقلبها يرقص فرحاً لعودته إلى حيث أشتاق أن يكون على الدوام.

تأوه: «كم أريدك! لقد مضى علي أكثر من شهر وأنا أعيش حياة ناسك من دونك. أحلم ليلاً بأنك إلى جانبي.. ثم أستيقظ لأجد نفسي وحيداً! العذاب الذي سببته لي، يكفي لإيصال أي رجل عاقل إلى الجنون؟».

أبعدها عنه قليلاً: «ماذا سأفعل بك؟ ماذا سأفعل من دونك؟».

- ماكس، هذا ما أحسست به من دونك.. لقد كنت بائسة.. ولم أعرف كيف أتحمل. احتمال زواجك من امرأة أخرى.. أو هذا ما دفعتني فرانسيس لأصدق.. كان رهيباً.

- وكيف تظنين أنني أحسست، وأنا أتساءل أين أنت؟ لم يكن لدي عنوان أمك، ولا تذكرت اسم زوجها. وهكذا سُدَّت في وجهي كل الطرق.. وأجبرت نفسي أن أسأل رئيس تحرير ستار وجورنال، لكنه ادعى أنه لا يعرف مكان وجودك، وأظنه كان يقول الحقيقة.

- ولأول مرة في حياته.. بكل تأكيد لم أقل له إلى أين أنا ذاهبة.. لكنني قلت لأمي.

كشر ماكس وجهه:

- ولقد آلمني هذا كثيراً.. وتوصلت إلى استنتاج، بمرارة وعلى مضض، أنك عدت إلى صديقك.. ثم اكتشفت اليوم أنك تعيشين في شقته..

- لقد شرحت لك كيف جئت إلى هنا.

- حسن جداً.. حسن جداً.. حبيبتي.

ضمها مجدداً بشوق.. وذابا معاً في عناق طويل...

قال يرفع ذقنها إلى أن تشابكت عيونهما:

- على فكرة.. من هو ذلك «الخال» الذي طلبت من ديريك وينترتون أن يبلغه حبك في الرسالة؟

ضحكت: «أوه.. إنه خالي روبرت».

- ومن يكون؟

ها قد عادت اللهجة الحادة التي أقلقتها دائماً.

- إنه.. لن يعجبك هذا حبيبي.. أنه رئيس مجلس إدارة ستار وجورنال.

الجزء من الثانية، اسودت عيناه، ثم تلاشى السواد، وبرز فكه الأسفل إلى الأمام، مدعياً الغضب.

- حقاً؟ ولماذا لم تقولي لي هذا من قبل؟ هل هو سرّ أسود آخر، آنسة ديرلوف، كنت تخبئينه لنفسك!

- إنه الأخير ماكس.. صدقاً. ولولاه، لما كان ديريك وينترتون تكرم علي باللقاء الأول يوم توسلت إليه ليضمني إلى محرري الصحيفة. قال لي: أكان خالك أولم يكن رئيس مجلس إدارة، فأنا لن أوظف معلمة لغة إنكليزية غير خبيرة في صحيفتي، أو كلمات بهذا المعنى.

- إذن، فالرجل لديه بعض المبادىء.. وهو لم ينحن أمام ضغط خالك.

- ربما لا.. لكن بضغط من خالي روبرت، وهو شقيق أمي، وأحبه كثيراً، أعطاني ديريك وينترتون هذه النسخة من الرسالة التي أريتها لك.. تصور.. كان قد زعم أنه رماها!

ضحك ماكس.

- يبدو أنه كاد يفعل.

نظرت إليه بطرف عينها، وبشيء من الشك: «ألست غاضباً مني لأن خالي يعمل في الصحافة؟».

رد مبتسماً: «لو كنت غاضباً، لعرفت هذا على الفور».

ضمها بين ذراعيه مجدداً.. ومضى بعض الوقت قبل أن يقول:

- حين نتزوج..

همست بخشونة: «وهل سنتزوج؟».

- من الآن وصاعداً آنسة دير.. لوف. لن أدعك تبتعدين عن نظري.. على فكرة.

ومد يده إلى جيب سترته الداخلي، وأخرج علبة، ثم الخاتم منها:

ـ هذا سيعود إلى مكانه الصحيح.. وبعد بضعة أيام.. بضعة أيام.. سينضم إليه خاتم ذهبي خاص.. ودون أدنى شك، سيصل خبر زواجنا إلى الصحافة. فهل هناك أي اعتراض، يا جاسوستي الجميلة؟

رفعت قبضتها لتضربه على صدره، لكن القبضة غيرت رأيها قبل أن تصدمه، ودفنت رأسها في صدره.

فيما بعد، وقد ارتدت ثيابها ليخرجا إلى وجبة طعام احتفالية.. قال ماكس:

ـ لو لم تأتِ إليّ هذا الصباح، كنت أنوي استخدام نحر خاص ليبحث عنك.

أحست سالي بضحكته تتذبذب في داخلها. إنه على صواب.. هي التي ذهبت إليه.. شيء ما.. إحساس ما في داخلها، شدها إلى ذلك المحل هذا الصباح.. خيط فضي، كان ممتداً بينهما منذ لحظة تعثرت ووقعت، وأدخلت نفسها في حياته الخاصة، بين ذراعيه، وأخيراً، فيما تبقى من حياته.

قالت وهي تلف ذراعيها حول كتفيه العريضين:

ـ هل تعدني بشيء سيد ماكنزي؟ أيمكن أن تعيد إليّ ذلك الكتاب الذي دفعت ثمنه، ووقعته لي؟

ـ سأفعل.. لكنني سأفعل أفضل من هذا.

شدها إليه أكثر.

ـ سأهدي كتابي التالي: إلى سالي، زوجتي، حبي العزيز، و.. حياتي الحقيقية.. العميل السري الجميل.

* * *